
مفهوم الجهاد في الإسلام











www.alimamaltayeb.com



الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ٧٦٩٥٦٤ أبوظبي
هاتف: 777 73 30 2 971+
فاكس: 054 12 44 2 971+
البريد الإلكتروني: info@muslim-elders.com
الموقع الإلكتروني: www@muslim-elders.com

فِهرست المكاتب العامة لدور الكُتُب والوثائق:
الطيب، أحمد
مفهوم الجهاد في الإسلام
ط -1 الحكماء للنشر،
1440هـ/ 2019م.
ص ؛ 15 × 22 سم.
عدد الصفحات: 144
1 - الفقه الإسلامي 2 - العلاقات الدولية
3 - الفكر الإسلامي 4 - العنوان

الطبعة الثانية للحكماء للنشر

1440هـ/ 2019م.

صورة الغلاف الخارجي: منظرٌ للجامع الأزهر الشريف بريشة المستشرق الفرنسي بريس دافين Prisse d'Avennes, (1807 – 1879).

تصميم الغلاف: Media Pictures Adv.
وائل حسن – هاتف: 1113354001 20+
البريد الإلكتروني: wael.hasan86@gmail.com

الصَّفُّ الطِّباعِيُّ والتنسيق: ناصر محمد يحيى



(يُباعُ هذا الكِتابُ بسِعر التَّـكلُفة وعائدُه مُخصَّصٌ لطباعةِ كُتُبِ التراث الإسلامي)

جميعُ حقوقِ المِلكيَّةِ الأدَبيَّة والفَنيَّةِ لمشيخة الأزهر؛ ويُحْظَرُ إعادةُ إصدارِ هذا الكِتابِ، ويُمنَع نَسْخُه أو استعمال أيّ جزءٍ منه، بأيِّ وسيلةٍ تصويريَّةٍ أو إلكترونيَّةٍ أو ميكانيكيَّةٍ، بما فيه التَّسجيل الفوتوغرافي والتَّسجيلُ على أشرطةٍ أو أقراصٍ مُدْمجَةٍ، أو أيِّ وسيلةِ نشرٍ أُخرَى، بما فيها حِفظ المعلومات واسترجاعها، إلَّا بمُوافَقَةِ المؤلِّف خَطيًّا.

www.alimamaltayeb.com

مَفْهُومُ الجِهادِ فِي الإِسلامِ

لقد وردَتْ كلمةُ «حَرْبٍ» -بمعنَى القِتالِ- في القُرآنِ الكريمِ أربعَ مراتٍ فقط، بينما وردَتْ كلمةُ «جهادٍ» اثنتينِ وثلاثينَ مَرةً.

والمُلاحَظُ مِنَ السياقِ القرآنيِّ أن كلمةَ «جهادٍ» لا تأتي دائمًا بالمعنى العسكريِّ المُسلَّحِ؛ بل كثيرًا ما تَرِدُ بمَعانٍ أخرى بعيدةٍ كلَّ البُعدِ عن هذا المعنى؛ فقد يُطلَقُ «الجهادُ» ويُرادُ به الجهادُ العسكريُّ المُسلَّحُ، وقد يُطلَقُ أيضًا ويُرادُ به جهادُ النفْسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ، وتخليصُها من نَزَعاتِ الشَّرِّ، كما يطلق على جهادِ الهوى والشيطانِ.

وكما يكونُ الجهادُ في القرآنِ ببَذْلِ الرُّوحِ والنَّفْسِ والموتِ في سبيلِ اللَّهِ، يكونُ أيضًا بإنفاقِ المالِ، وباستخدامِ الحُجَّةِ والبرهانِ في الدعوةِ إلى اللَّهِ، بل

قد يكونُ الجهادُ بالقرآنِ الكريمِ، أي: بآياتِه وحِكَمِه ودلائِلِه الحِسِّيةِ والعقليةِ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] والمعنى: جاهِدْهم جهادًا كبيرًا بالقرآنِ المذكورِ في الآيةِ الأسبقِ(١) مِن هذه الآيةِ.

وجهادُ النفْسِ في الإسلامِ يأتي في مرتبةٍ أعلى مِن جهادِ العدُوِّ في مَيْدانِ القتالِ، وهذا أمرٌ منطقيٌّ؛ لأن المُسلِمَ الذي يَفشَلُ في جهادِ نَفْسِه التي بين جنبَيْه، يَفشَلُ -بالضرورةِ- في مُواجَهةِ عدُوِّه في ساحاتِ القتالِ، وليس مِنَ المُستغرَبِ -والحالُ كذلكَ- أن يكونَ جهادُ النفسِ أعلى مرتبةً، وأهمَّ مَنزِلةً مِن جهادِ العدُوِّ الخارجيِّ.

ونذكُرُ في هذا المَقامِ حديثَ النبيِّ ﷺ: «**الْمُجَاهِدُ**

(١) وهي قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠].

مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ»[١]، وفي حديثٍ آخَرَ: «**أَفْضَلُ الجِهَادِ أَنْ تُجَاهِدَ نَفْسَكَ وهَوَاكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ**»[٢].

حكم الجهاد:

ويتَّضِحُ هذا الفرقُ -بصورةٍ أدَقَّ- مِن المُقارَنةِ بينَ حُكمِ الشريعة في «جهادِ القتالِ»، وحُكمِها في «جهادِ النَّفْسِ والشيطانِ»؛ فمِنَ المُسلَّمِ به في أحكامِ الشريعةِ الإسلاميَّةِ أن «جهادَ القتالِ» الذي يُحمَلُ فيه السلاحُ ليس «فرضَ عينٍ» على كلِّ مسلمٍ، وإنما هو «فرضٌ كفائيٌّ»،

(١) أخرجه الإمامُ أحمدُ في مسنده (٢٣٩٥٨)، وابنُ حبان في صحيحه (الإحسان: ٤٨٦٢) مِن حديثِ فَضالة بنِ عُبيدٍ رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو نُعيمٍ في حِلية الأولياء: ٢/ ٢٤٩ مِن حديثِ أبي ذر رضي الله عنه.

وانظر بحثًا للشيخ عبد اللَّه غوشة، بعُنوانِ: «الجهادُ طريقُ النصرِ» في كتابِ المؤتمرِ الرابعِ لمَجْمَعِ البحوثِ الإسلاميةِ، سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ١٨٣.

www.alimamaltayeb.com

إذا قام به بعضُ المسلمينَ سَقَطَ عن الباقينَ، بينما جهادُ النَّفْسِ والشيطانِ -وما إليهما- فَرْضُ عَينٍ على كلِّ مُسلمٍ، وفي كلِّ الظروفِ والأحوالِ؛ وذلكَ لأنَّ العدوَّ المُقيمَ إقامةً دائمةً مع المُسلمِ هو الشيطانُ الذي يَقعُدُ له بالمِرصادِ، ثم نَفسُه التي تأمُرُه بالسوءِ، وتُزيِّنُ له طريقَ الشَّرِّ والباطلِ، وليس للمُسلِمِ مِن سِلاحٍ في هذه المعركةِ اليوميَّةِ المُستمرَّةِ إلَّا الجهادُ والمُجاهدةُ الدائمةُ قَدْرَ إمكانِه، وقَدْرَ وُسعِه، وحَسْبَما يستطيعُ.

ولمَّا كان جهادُ النَّفْسِ والهَوَى والشَّيطانِ لا يَنوبُ فيه شخصٌ عن شخصٍ؛ كان حُكمُه الشرعيُّ «فرضَ عينٍ» على كلِّ مُسلمٍ، وذلك في مُقابِلِ «جهادِ العدوِّ المُسلَّحِ» الذي يُمكِنُ أن يقومَ به البعضُ، ويُعفى البعضُ الآخَرُ مِن تحمُّلِ تَبِعاتِه وتضحيَاتِه.

الجِهادُ بمَفهُومِه الواسِعِ:

والجهادُ الذي هو فَرْضُ عَينٍ على كلِّ مُسلمٍ يتَّسِعُ

www.alimamaltayeb.com

معناهُ لأكثرَ مِن عدُوٍّ؛ فهناكَ العدُوُّ المُتربِّصُ بالفردِ؛ كالنَّفْسِ والشيطانِ والهوى، كما سَبَقَ، وهناكَ أعداءٌ آخَرونَ يَتربَّصونَ بالمُجتمَعِ: إنهاكًا وفَتكًا وتفتيتًا، حتى يُحِيلوه إلى مُستنقَعٍ مِن العِلَلِ والآفاتِ، كالمَرَضِ والجهلِ والفقرِ والضعفِ والتخلُّفِ.

وجهادُ كلِّ أولئكَ وكِفاحُهم ليس أقلَّ شأنًا في فلسفةِ الإسلامِ مِن جهادِ العدُوِّ المُتربِّصِ على الحدودِ والثغورِ، والمسئوليةُ في كِفاحِ الفَقرِ والمَرَضِ وما إليهما مسئوليَّةٌ مُشترَكةٌ بينَ الأفرادِ ووُلاةِ الأمورِ، كلٌّ حَسَبَ موقعِه في مُؤسَّسةِ الحُكمِ، ومسئوليَّتِه في إدارةِ المُجتمعِ.

ومعلومٌ ما تفرَّدَ به الإسلامُ في مُحاربةِ الجهلِ والتقليدِ والخُرافةِ والأساطيرِ، ودعوةِ الناسِ إلى العِلمِ واليقينِ والاستبصارِ؛ فقد وردَتْ مُفردَةُ «العِلمِ» ومُشتقَّاتُها -حقيقةً ومَجازًا- في القرآنِ الكريمِ؛ عَشَراتِ المَرَّاتِ، مِثلَ قولِه تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ

قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقولِه تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]، وقولِه تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩]. وهذا التَّكرارُ أو التأكيدُ على العِلمِ يُمثِّلُ حَمْلةً ضاريَةً على الجهلِ والجُهَلاءِ، والشَّكِّ والمُتشكِّكينَ، لا نَعرِفُ لها نظيرًا في كتابٍ سَماويٍّ آخَرَ.

وقُلْ مِثلَ ذلكَ في مُحارَبةِ الإسلامِ للأمراضِ وأسبابِها مِن القاذُوراتِ والنَّجاساتِ، ويَكفِينا في هذا المجالِ الحديثُ النبويُّ الذي يَجعَلُ مِن النظافةِ والطهارةِ نِصْفَ إيمانِ المُسلِمِ(١)، ويَكفِينا ما تُقرِّرُه شريعةُ الإسلامِ مِن أنَّ «**صِحَّةَ الأبدانِ مُقدَّمةٌ على صحَّةِ الأديانِ**»، وكذلك تحريمُ الشريعةِ للأطعمةِ والأشربةِ

---

(١) وَرَدَ في هذا المعنى حديثٌ أخرجه مُسلمٌ في صحيحه (٢٢٣) مِن حديثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ».

النَّجِسةِ والضارَّةِ بصحَّةِ الإنسانِ، وحَسْبُنا -أيضًا- ما تقرَّرَ في عِلمِ المَقاصِدِ مِن أنَّ «**الحِفاظَ على النفسِ والعقلِ مقصدٌ أعلى مِن مَقاصِدِ الشريعةِ في الإسلامِ**»، وتأمَّلْ معي كيفَ يُوجِبُ الإسلامُ على الأحياءِ تغسيلَ مَوتاهُم، وتنظيفَهم، وتكفينَهم، وتَضْمِيخَهم بالطِّيبِ، رَغْمَ أنهم مَوتى يُحمَلُون إلى ترابِ القُبورِ.

ويَطُولُ المَقامُ لو رُحْنا نَستَعْرِضُ الآياتِ والأحاديثَ التي تدعو المُسلِمينَ وتحثُّهم على النظافةِ في البَدَنِ، وفي الثوبِ، وفي المكانِ.

والشيءُ نَفْسُه يُقالُ في مُحارَبةِ الإسلامِ للوَهْنِ والضَّعفِ والكَسَلِ، والتحذيرِ مِن العَواقِبِ الوخيمةِ التي تَلحَقُ المُجتمَعَ من جَرَّائِها، وكيف أنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُؤمنَ القويَّ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**»[1]، وكانَ النبيُّ ﷺ يَتعوَّذُ مِنَ

---

(١) وَرَدَ ذلك في حديثٍ أخرجه مُسلمٌ في صحيحه (٢٦٦٤) مِن =

www.alimamaltayeb.com

العَجْزِ والكَسَلِ في دعائِه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ والْكَسَلِ**»(١)، وكان يَحُثُّ على النشاطِ والحَرَكةِ، والتوثُّبِ والإقدامِ، وطَلَبِ العَونِ مِن اللَّهِ والتوكُّلِ عليه: «**استَعِنْ بِاللَّهِ ولا تَعجِزْ**»(٢). وهذا تأكيد لقَولِه تَعالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهذه ليسَتْ مُجرَّدَ وَصايَا أو نصائحَ يُطبِّقُها المُسلِمُ أو لا يُطبِّقُها حَسَبَ رغبتِه وهَواهُ، بل هي تكاليفُ شرعيَّةٌ لمُحارَبةِ العدُوِّ الحقيقيِّ للأفرادِ والجماعاتِ، ونخلُصُ

= حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ».

(١) أخرجه البخاريُّ في صحيحه (٢٨٢٣)، ومُسلمٌ في صحيحه (٢٧٠٦) مِن حديثِ أنسٍ رضي الله عنه.

(٢) جزءٌ مِن حديثٍ أخرجه مُسلمٌ في صحيحه (٢٦٦٤) مِن حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه.

www.alimamaltayeb.com

مِن هذا الاستطرادِ الذي طالَ قليلًا إلى أمرَيْنِ:

الأوَّلُ: أنَّ الإسلامَ دِينٌ يَحُثُّ المُسلِمَ على المُجاهَدةِ في تحصيلِ العِلمِ والحفاظِ على الصِّحَّةِ والنظافةِ والقُوَّةِ، ويدعو إلى إعلانِ الحربِ على الجهلِ والمَرَضِ والوَهْنِ والضعفِ، ويَعتَبِرُ كلَّ ذلكَ جِهادًا في سبيلِ اللَّهِ.

الثاني: أنَّه ليسَ صحيحًا ما يدَّعِيه بعضُ المُفكِّرينَ الغربيِّينَ مِن أنَّ معنى الجهادِ في الإسلامِ قاصِرٌ على حَمْلِ السيفِ لقتالِ الناسِ، وإجبارِهم على اعتناقِ الإسلامِ؛ فهذا مَحضُ افتراءٍ وكَذِبٍ على الحقيقةِ والتاريخِ، وقد حَمَلَهم على هذه المُفترَياتِ نَوايَا سيِّئةٌ وأغراضٌ مُلتوِيَةٌ، وبعضُهم يَتوفَّرُ فيه حُسْنُ النيَّةِ ونَزاهَةُ القصدِ، إلَّا أنَّ عدمَ إحاطتِه بالسِّياقاتِ المتعدِّدَةِ لكلمة «الجهادِ»، وعَجْزَه عن تتبُّعِ استعمالاتِها، واقتصارَه على السياقِ الفقهيِّ فقط، كلُّ ذلكَ أوقَعَه في هذا القُصورِ المُخِلِّ، والوُقوفِ به في ثُلُثِ الطريقِ أو مُنتصَفِه.

www.alimamaltayeb.com

والذي يجِبُ التنبُّهُ له في بدايةِ الكلامِ عن «الجهادِ» هو أنَّ هذه الكلمةَ إن صحَّ أنها تعني مُجاهَدةَ العدُوِّ، فإنَّما تعني هاتَيْنِ المُفردَتَيْنِ بالمعنَى الأعمِّ الأشملِ: فالجهادُ كما يَكونُ بالسلاحِ يكونُ بالمالِ وبالقُرآنِ، وبالحُجَّةِ والبرهانِ؛ والعدُوُّ كما يكونُ إنسانًا مُحارِبًا؛ يكونُ نفسًا أو شيطانًا، أو أعداءً آخَرِينَ، ذَكَرْنا مِن أخبارِهم طَرَفًا فيما مَضَى، وجملَةُ القَولِ أنَّ كلمةَ الجهادِ عامَّةً تَنطبِقُ على مَعانٍ عِدَّةٍ، وكذلك كلمةُ «العدوِّ» تُقالُ على أعداءٍ كثيرينَ.

ومَرَّةً أخرى لا يَقتصِرُ الجِهادُ في الإسلامِ على لِقاءِ العدُوِّ البشريِّ، بل يَشمَلُه ويَشمَلُ معه كلَّ لقاءٍ لعدُوٍّ حِسِّيٍّ أو مَعنويٍّ.

الغايَةُ مِنَ الجِهادِ في الإسلامِ:

وقبلَ أن نُغادِرَ هذا السياقَ نَلفِتُ النظرَ إلى أن الجهادَ

www.alimamaltayeb.com

في الإسلامِ مَشروطٌ بغايةٍ خُلُقيَّةٍ لا نَجِدُها في أيِّ تشريعٍ آخَرَ مِن تشريعاتِ الحروبِ في القديمِ وفي الحديثِ، هذا الشرطُ هو: أن يكونَ الجِهادُ في «سبيلِ اللَّهِ» وهذا ما يُفهَمُ مِن تقييدِ القرآنِ الكريمِ للجهادِ بالمالِ والنَّفْسِ بكونِه «في سبيلِ اللَّهِ» في أغلَبِ المَواردِ التي ورَدَتْ فيها هذه الكلمةُ، مِمَّا يَضَعُ أيدِيَنا على أن الجهادَ في الإسلامِ -بمعنى القِتالِ- يَنفرِدُ بغايةٍ خُلُقِيَّةٍ لا تعرِفُها الغاياتُ الأخرى التي تَندَلِعُ بسَبَبِها الحُروبُ، وتأتي على الأخضرِ واليابسِ، مِثلُ: الرغبةِ في التوسُّعِ، أو الاحتلالِ بهَدَفِ كَسْبِ الأرضِ، أو السيطرةِ على مُقدَّراتِ الآخَرِينَ، أو استعراضِ القُوَّةِ، أو تجارةِ الأسلحةِ، أو التقَوِّي على حِسابِ الضعفاءِ والمُستضعَفينَ... إلى آخِرِ هذه الأغراضِ الهابِطةِ التي لا تَزالُ تُشكِّلُ بواعثَ الحُروبِ في عَصرِنا هذا، ويَندَى لها جبينُ التاريخِ وضميرُ الإنسانيَّةِ.

www.alimamaltayeb.com

العَلاقاتُ الإنسانيَّةُ في الإسلامِ:

وبَعدَ أن فَرَغْنا مِن تلخيصِ الجِهادِ، وتحديدِ مفهومِه ومَعناهُ؛ ننتقلُ إلى قضيَّةٍ ثانيةٍ ترتبطُ بالجِهادِ بمَعنى القِتالِ المُسلَّحِ، وهي عَلاقةُ المُسلِمينَ بغيرِهم، وهل هي عَلاقةُ الصِّراعِ الذي ينتهي بالمُواجَهةِ العسكريَّةِ، أو هي عَلاقةُ التعارُفِ والتعاوُنِ وتبادُلِ المَنافعِ؟

والمتأمِّلُ في آياتِ القُرآنِ الكريمِ لا يَحتاجُ إلى كبيرِ عَناءٍ ليكتشِفَ أنَّ العَلاقاتِ الإنسانيَّةَ في الإسلامِ تَقومُ على حقائقَ ثلاثٍ، أسَّسها القُرآنُ الكريمُ في وُضُوحٍ لا لَبسَ فيه ولا يَحتمِلُ التأويلَ، وهي حتميَّةُ الاختلافِ بينَ الناسِ، وحتميَّةُ التعارُفِ بينهم، ثم مَبدأُ حريَّةِ الاعتقادِ:

١- حتميَّةُ الاختلافِ بينَ الناسِ:

إنَّ مَنطِقَ القُرآنِ الكريمِ في مَسألةِ السلامِ الاجتماعيِّ المَحَلِّيِّ والعالَميِّ أيضًا، ينبني أوَّلَ ما ينبني على بَدَهيَّةٍ يُؤكِّدُها التاريخُ والواقعُ في كلِّ زمانٍ

www.alimamaltayeb.com

ومكانٍ، وهي استحالةُ اجتماعِ الناسِ على دِينٍ واحدٍ أو عقيدةٍ مُعيَّنةٍ، أو لُغةٍ مِنَ اللغاتِ، أو جِنسٍ أو لونٍ بعينِه، وهذه البَدَهيَّةُ المنطقيَّةُ يُقرِّرُها القُرآنُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، ومَعنى هذه الآيةِ باختصارٍ: أن مشيئةَ اللَّهِ تعالى قَضَتْ أن يَخلُقَ الناسَ مُختلِفينَ في كلِّ ما ذَكَرْناهُ، وأنَّ اختلافَهم مشيئةٌ إلهيَّةٌ باقيةٌ فيهم، لا تتبدَّلُ ما دامتِ السماواتُ والأرضُ، وهذا المعنى أكَّدَتْه آياتٌ أُخرى كثيرةٌ، منها قولُه تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

ومَضمونُ هذه الآياتِ، وآياتٍ أُخرى كثيرةٍ يَضيقُ المَقامُ عن سَرْدِها - هو التنبيهُ على اختلافِ الناسِ دِينًا، وعِرْقًا، ولُغةً، وتفاوُتِهم في كلِّ ذلك تفاوُتًا لا سبيلَ إلى تغافُلِه أو تناسِيه، وأنَّ اتفاقَ الناسِ واجتماعَهم على مِلَّةٍ واحدةٍ واعتقادٍ واحِدٍ، ومُحاوَلاتِ جَمْعِهم على أمرٍ واحِدٍ مِن ذلك - مُحاوَلاتٌ مصيرُها إلى الفَشَلِ وإلى نُفاياتِ التاريخِ، استمِعْ إلى القُرآنِ الكريمِ وهو يَستنكِرُ على النبيِّ ﷺ أُمنيتَه في أن يَدخُلَ الناسُ جميعًا في دِينِ اللَّهِ، ويُبيِّنُ له استحالةَ تحقُّقِ أمنيَّةٍ كهذه؛ لأنَّها تَصطَدِمُ

www.alimamaltayeb.com

اصطِدامًا مُباشِرًا بمشيئةِ اللَّهِ في اختلافِ الناسِ، فيقولُ له فيما يُشبِهُ اللَّومَ والعِتابَ:

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وإذَنْ؛ فالناسُ في مَنطِقِ القُرآنِ مُختلفونَ مُتباينونَ، رَغمَ رُجُوعِهم في الأصلِ إلى أمٍّ واحدةٍ وأبٍ واحدٍ، بل نقولُ: إنَّ الاختلافَ هو مشيئةُ اللَّهِ وحكمُه النافِذُ في الإنسانِ والحيوانِ والنباتِ والجَمَادِ والكَوْنِ والطبيعةِ. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

٢- حتميَّةُ التعارُفِ بينَ الناسِ:

وإذا كانَ الاختلافُ هو القانونَ الإلهيَّ الذي خَلَقَ اللَّهُ

www.alimamaltayeb.com

الناسَ بمُقتضاهُ، واستحالَ بمُوجِبِه اتفاقُ الناسِ جميعًا على أمرٍ واحدٍ، فماذا يتبقَّى في أمرِ العَلاقةِ بينهم إلَّا أن يكونَ هو «التعارُفَ»، الذي هو التعاونُ والتلاقي، وليس التناكرَ والصِّراعَ والتنابذَ. وهذا ما تُقرِّرُه الآيةُ الكريمةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]. فالتعارُفُ قانونُ الاجتماعِ الإنسانيِّ، والتقوى -وهي العملُ الصالحُ- مِعيارُ التفاضُلِ الوحيدُ بينهم، والآيةُ شديدةُ الوُضوحِ في الدَّلالةِ على ما تقدَّمَ مِن أن العَلاقةَ بينَ الشُّعوبِ في مَنظورِ الإسلامِ هي عَلاقةُ «التعارُفِ» والتعاوُنِ والتكامُلِ، وتبادُلِ التأثُّرِ والتأثيرِ، وكلُّ ذلكَ لا يتحقَّقُ إلَّا في جوٍّ مِنَ السلامِ والتسامُحِ والمُسالَمةِ، بعيدًا عن أجواءِ الصِّراعِ أو المُغالَبةِ و التعالي.

٣- حُرِّيةُ الاعتقادِ:

أمَّا الحقيقةُ القرآنيَّةُ الثالثةُ فهي حَقُّ حريَّةِ الاعتقادِ،

ضرورةَ استحالةِ الإكراهِ على الدِّينِ والعقيدةِ أيًّا كانت: سماويَّةً أو وضعيَّةً: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

ونبيُّ الإسلامِ -في مَنطِقِ القُرآنِ- ليس إلَّا مُبلِّغًا ومُذكِّرًا فقط: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى: ٤٨].

وهكذا لا مَكانَ في البِناءِ الإيمانيِّ في الإسلامِ لأيِّ أُسلوبٍ مِن أساليبِ فَرْضِ العقائدِ وإكراهِ الناسِ عليها، حتى لو كانت عقيدةَ الإسلامِ نَفْسَها، وسواءٌ أكانَ الإكراهُ أدبيًّا أم ماديًّا، ولا مَكانَ في فلسفةِ الإسلامِ -كذلك-

www.alimamaltayeb.com

لابتذالِ الإيمانِ في أسواقِ المَصالِحِ، واستغلالِ حاجاتِ الناسِ وضروراتِهم.

والإسلامُ لا يُؤمِنُ بمُقايَضةِ العقائدِ، وشرائِها وبيعِها بالخِدماتِ، ولا يَعتَرِفُ بالإيمانِ المُختطَفِ ببَرِيقِ السيوفِ، أو بريقِ الأموالِ، فهذا أو ذاكَ لا يُثمِرُ عقيدةً ولا إيمانًا، وإن أنتجَ نِفاقًا ومُداهَنةً.

ومُنطلَقُ القُرآنِ في ذلكَ هو أنَّ العقائدَ مِن أعمالِ القُلوبِ، والقُلوبُ لا تَخضَعُ للقَهْرِ والإكراهِ، والفَرْضِ والإلزامِ، ومِنَ العَبَثِ الذي لا يَتحقَّقُ أبدًا ادِّعاءُ فَرْضِ عقيدةٍ أو دِينٍ على قلبٍ مِنَ القُلوبِ.

«ولقد أرادَ صحابيٌّ مِنَ الأنصارِ أن يُكرِهَ ابنَيْنِ له على الإسلامِ فنَهَاهُ النبيُّ ﷺ عن ذلكَ[1]، وجاءتِ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ٤/ ٥٤٨، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قَالَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْ بَنِي سَالِمِ =

امرأةٌ عَجوزٌ إلى عُمَرَ رضي الله عنه تطلُبُ منه بعضَ الحاجةِ، ولم تكن مُسلِمةً فدَعَاها عُمرُ إلى الإسلام فامتنعَتْ، فخَشِيَ الفاروقُ أن يكونَ قد أَعْنَتَها بما طَلَبَ، فاتَّجَه إلى ربِّه ضارعًا وقال: «اللَّهُمَّ إني لم أُكرِهْهَا»[1].

وجاء في كتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِ اليَمَنِ: «**مَنْ كَرِهَ الْإِسْلَامَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّه لا يُحوَّلُ عَنْ دِينِهِ...**»[2].

= ابْنِ عَوْفٍ يُقَالُ لَهُ الْحُصَيْنُ؛ كَانَ لَهُ ابْنَانِ نَصْرَانِيَّانِ، وَكَانَ هُوَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَلَا أَسْتَكْرِهُهُمَا فَإِنَّهُمَا قَدْ أَبَيَا إِلَّا النَّصْرَانِيَّةَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ذَلِكَ. وتراجَع الإصابة: ٢/ ٥٧٥/ ترجمة: حصين الأنصاري رضي الله عنه.

ويُراجع في هذا المعنى أيضًا: ما أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٨٢)، والنسائي في سننه الكبرى (١٠٩٨٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٨٦٣٩)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان: ١٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(١) العلاقات الدولية في الإسلام، للشيخ محمد أبي زهرة، ص: ٣٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠١٠٠)، ومِن طريقِه ابنُ حزم في =

www.alimamaltayeb.com

والقرآنُ الكريمُ يَعتَبِرُ تغييرَ الدِّينِ بالإكراهِ أو الإغراءِ بالمالِ والمَنصِبِ والجاهِ فتنةً أشدَّ مِنَ القتلِ؛ وذلكَ لِمَا في الإكراهِ مِنِ اعتداءٍ على العقلِ والنَّفْسِ، ومُصادَرةٍ لحَقِّ الحريةِ والاعتقادِ، وهذا الحقُّ فِطرةٌ إنسانيَّةٌ فَطَرَ اللَّهُ الناسَ عليها.

على أنَّ الفتنةَ بالاعتداءِ على عَقيدَةِ الإنسانِ أشدُّ عليه مِنَ الفتنةِ بالاعتداءِ على نَفْسِه وجَسَدِه؛ لأنَّ الشُّعورَ بالإذلالِ والهَوانِ في الاعتداءِ على العقيدةِ،

= المحلى: ٥/ ٤١٦ عن ابن جريج قال: «كان في كتاب النبي إلى أهل اليمن . . .» فذكره، وأخرجه أبو عبيد في الأموال (٥٣، ٦٦) عن عروة بن الزبير بلفظ: «كتب رسول اللَّه ﷺ إلى أهل اليمن: «إِنَّهُ مَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ فإِنَّه لَا يُفْتَنُ عَنْهَا. . .» وأخرجه أيضًا (٦٥) وعنه ابن زنجويه في الأموال (١٠٩) عن الحكم بن عتيبة به، وأخرجه الطبري في تاريخه: ٣/ ١٢٠-١٢١، عن عبد اللَّه بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة: ٣/ ١٢٣٣، والبيهقي في سننه الكبرى (١٨٧١١) عن زُرعة بن سيف بن ذي يزن، وكلها روايات مرسلة.

www.alimamaltayeb.com

أَشَقُّ وأَشَدُّ منه في حالةِ الاعتداءِ على النَّفْسِ، وقد سُئِلَ بعضُ الحُكَماءِ: «ما أَشَدُّ مِنَ الموتِ؟ قال: [الحالُ] الذي يُتَمنَّى فيه الموتُ»(١).

إن نظامًا اجتماعيًّا يتأسَّسُ على مَبادئَ مُستمَدَّةٍ مِن نُصوصٍ إلهيَّةٍ مُقدَّسةٍ، تُؤكِّدُ على طبيعةِ الاختلافِ بينَ الناسِ، وضرورةِ التعارُفِ بينهم، وحَقِّ حريَّةِ الاعتقادِ -لا يُمكِنُ فيه صَبُّ الناسِ في نَمَطٍ واحِدٍ مِن أنماطِ التفكيرِ والاعتقادِ والسُّلوكِ، ولا مَكانَ فيه للحُروبِ كحَلٍّ للنِّزاعاتِ بينَ الدُّوَلِ والشعوبِ، إذ التعارُفُ -وليس التناكُرَ- هو القانونُ الذي وَضَعَه اللَّهُ للعَلاقةِ بينَ البَشَرِ مَهْمَا تناءى بهم المَكانُ، واختلفَتْ بينهم الأعراقُ والعقائدُ والحضاراتُ.

وهكذا يَتَّضِحُ بجَلاءٍ مِن خِلالِ نُصوصِ القُرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ أن الإسلامَ لا يُقِرُّ مَبدأَ «الحربِ» في

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري بحاشية الطيبي: ٣/ ٢٦٣.

www.alimamaltayeb.com

الدَّعوةِ إلى دِينٍ، بل يَستبعِدُه استبعادًا كُلِّيًّا؛ فلا يُكرِهُ الناسَ على الدخولِ في دِينِه، ولا يَفرِضُ شَريعَتَه على الآخَرِينَ، وإنَّما تتعارَفُ هذه الشَّريعةُ مع ما دَرَجَ عليه الناسُ وأَلِفُوهُ مِن شَرائِعَ وثَقافاتٍ تَتجاوَزُ وتَتَعارَفُ.

وفي كلمةٍ واحدةٍ: يُحدِّدُ القرآنُ العَلاقةَ بينَ الناسِ في عَلاقةِ «التعارُفِ»، التي هي نتيجةٌ منطقيَّةٌ لطبيعةِ الاختلافِ وحَقِّ الاعتقادِ.

الباعثُ على الحربِ في الإسلامِ:

وإذا كنا قد قرَّرْنا في الفِقرةِ السابقةِ أن «التعارُفَ» هو غايةٌ إلهيَّةٌ خَلَقَ اللَّهُ الناسَ مِن أجلِها شُعوبًا وقبائلَ، فهاهُنا سُؤالٌ يَطرَحُ نَفْسَه وهو: إذا كان الأمرُ كذلكَ، فلماذا الحربُ إذَنْ؟ ولماذا أقرَّ القُرآنُ الكريمُ مَبدأَ «القِتالِ» ومشروعِيَّتَه، وأمَرَ به في آياتٍ عِدَّةٍ، وأقرَّه النبيُّ ﷺ في أحاديثَ كثيرةٍ تُبيِّنُ فضلَ الجهادِ وتحُضُّ عليه؟ وكيف

www.alimamaltayeb.com

يستقيمُ القولُ بأنَّ اللَّهَ جَعَلَ النَّاسَ شُعوبًا وقبائلَ **ليتعارَفُوا**، مع الدعوةِ إلى الحربِ والقتالِ بينهم؟!

إن الإجابةَ المبدئيَّةَ التي يُحتِّمُها النظرُ المُتأنِّي في مجموعِ الآياتِ المُتعلِّقةِ بهذا الموضوعِ هي: أن الحربَ أو القتالَ في الإسلامِ لا يُمكِنُ إلَّا أن يَكونَ حالةَ استثناءٍ، أو حالةَ اضطرارٍ يُلجَأُ إليها في ظُروفٍ خاصَّةٍ، وضروراتٍ لا مَهْرَبَ منها، وذلكَ حِينَ تكونُ الحربُ نفسُها إِجراءً لحمايةِ مبدأِ «التعارُفِ» وتثبيتِه وإقرارِ السَّلامِ بينَ الناسِ.

وهذه إجابةٌ مُجمَلةٌ تحتاجُ إلى تأصيلٍ وتفصيلٍ:

أمَّا التأصيلُ فهو أن الحربَ في الإسلامِ إنَّما شُرِعَتْ فقط للدِّفاعِ، ولم تُشرَعْ للهُجومِ.

وأمَّا تفصيلُ ذلكَ فهو أنَّ أوَّلَ آيةٍ نزلت لتأذن للمسلمين بالقتال في القُرآنِ، هي قولُه تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

فقد أُذِنَ في هذه الآيةِ بالقِتالِ بعد ما نُهِيَ عنه في نَيِّفٍ وسبعينَ آيةً، وكان أصحابُ النبيِّ ﷺ يأتون إليه طَوالَ العَهْدِ المكيِّ، مِن بينِ مَضروبٍ ومَشجُوجٍ، يتظلَّمونَ إليه، فيقول لهم: «**اصْبِرُوا؛ فَإِنِّي لَمْ أُومَرْ بِقِتالٍ**» حتى هاجَرَ، فأَنزلَ اللَّهُ عليه هذه الآيةَ(١).

وفي ضوءِ هذه الآيةِ يتَّضِحُ -تحديدًا- أنَّ مِن أوَّلِ أسبابِ مشروعيَّةِ القتالِ في الإسلامِ: نُصرةَ المظلومينَ،

(١) راجع: تفسير عبد الرزَّاق الصنعاني: ٢/ ٣٤، وجامع البيان، لابن جرير الطبري: ١٨/ ٦٤٢، وتفسير أبي المظفَّر السمعاني: ٣/ ٤١٦، والكشاف، للزمخشري: ٣/ ١٦١، والتفسير الكبير، للرازي: ١٢/ ٤٠، وتفسير ابن كثير: ٥/ ٤٣٣.

www.alimamaltayeb.com

ودَفْعَ الظلمِ عنهم، وتمكينَهم مِن حقِّهم في حياةٍ آمِنةٍ مِثلَ غيرِهم، وهو مَطلَبٌ لا يَعرِضُ لعقلٍ مُستقيمِ الفِكرِ أن يَتنكَّرَ له، أو يَرتابَ في مشروعيَّتِه في يومٍ ما مِنَ الأيامِ.

كما يتَّضِحُ أيضًا أنَّ الحربَ في هذا النصِّ الإلهيِّ ليست مشروعةً للدفاعِ عن الإسلامِ فقط؛ بل هي مشروعةٌ للدِّفاعِ عن الأديانِ السماويَّةِ ضدَّ عُدوانِ الوثنيَّةِ والشِّرْكِ والمُشْرِكينَ.

ومِمَّا يَعجَبُ له كلُّ باحثٍ في الآيةِ الكريمةِ -كائنًا ما كان دينُه أو مَذهَبُه- أن القتالَ المشروعَ في هذه الآية ليس فقط لتأمِينِ العبادةِ في دِينِ الإسلامِ؛ بل هو مشروعٌ كذلكَ مِن أجلِ تأمينِ العِبادةِ في الأديانِ السماويَّةِ الأخرى، وحِمايتِها من طُغيانِ الوثنيَّةِ وجَبَروتِ الشِّرْكِ والمُشرِكينَ.

وإن تَعْجَبْ فاعجَبْ لدِينٍ يَدفَعُ أبناءَه ليُقاتِلوا مِن أجلِ تأمينِ أهلِ الأديانِ الأُخرَى، وتأمِينِ أماكِنِ عِباداتِهم.

www.alimamaltayeb.com

استمِعْ إلى ما رواهُ الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما وهو يُفسِّرُ هذه الآيةَ فيقولُ: «يُدفَعُ بدِينِ الإسلامِ وبأهلِه عن أهلِ الذِّمَّةِ»(١). ثم دُلَّني على دِينٍ يُدافِعُ بأبنائه عن الأديانِ الأخرى، ويُؤمِّنُ **لأبنائِها مُمارَسةَ شعائرِهم، غيرِ دِينِ الإسلامِ!**

وقد لَفَتَ الجمعُ بينَ الأديانِ السماويَّةِ الثلاثةِ في هذه الآيةِ أنظارَ المُفسِّرينَ، ورُبَّما أثارَ دَهشَتَهم وتساءلوا عن دُخُولِ الصوامعِ والبِيَعِ والصَّلَواتِ(٢) في

(١) التفسير الكبير، للرازي: ١٢/ ٤١، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/ ١٠٥، وغرائب التفسير، للنيسابوري: ٥/ ٨٣.

(٢) وبوَّب البخاري في صحيحه: ٢/ ٦٩ كتاب الجهاد باب: يُقَاتَلُ عَنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَلاَ يُسْتَرَقُّونَ، وأورد فيه عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أثرًا (٣٠٥٢) قَالَ: «وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ». وأخرج البزَّار في مسنده (١٥٨) مِن حديثِ عائشةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ لا يُقاتِلُ عن أحدٍ مِن أهل الشركِ إلَّا عن أهلِ الذمةِ.

الصوامع: جمع صَوْمعة، وهي الأماكن التي يتعبد فيها رهبان =

www.alimamaltayeb.com

خُطَّةِ الجهادِ الإسلاميِّ وتبنِّيه الدفاعَ عنها، وكان مِن إجابتِهم: أنَّ هذه المَواضِعَ أجمعُ مواضعَ للمؤمنينَ، وإن اختلفَتِ العِباراتُ عنها.

وها هو الإمامُ الرازيُّ يَنفِي أن يَكونَ الغَرَضُ مِنَ الدِّفاعِ عنها هو مَنْعَ تهدِيمِها في عَهدِ مُوسى وعيسى -عليهما السلامُ- فقط؛ بل الغَرَضُ هو دِفاعُ المُسلمينَ عنها كَيْلَا تُهدَمَ في أيامِ الرسولِ ﷺ؛ لأنَّ هذه المَواضِعَ -فيما يَقولُ-: «يَجْري فيها ذِكرُ اللَّهِ تعالى، فليسَتْ بمَنزِلةِ عبادةِ الأوثانِ»[1].

فالآيةُ الكريمةُ وهي تأذَنُ بالقِتالِ دِفاعًا عن مَواضِعِ العبادةِ، لا تأخُذُ في حُسْبانِها المساجدَ فقط، وإنما

= النصارى، والبِيَع: جمع بِيعة؛ متعبَّد المسيحيين عامة، والصلوات: أماكن عبادة اليهود، والمساجد -كما هو معلوم-: أماكن عبادة المسلمين. انظر الكشاف بحاشية الطِّيبيّ ١٠/ ٤٩٤.

(١) التفسير الكبير، للرازي: ١٢/ ٤١.

تنظُرُ كذلكَ إلى أماكِنِ العبادةِ الخاصَّةِ بغيرِهم[١].

ثم إنَّ صَدْرَ هذه الآيةِ - وهو قولُه تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] صريحٌ أيضًا في الإِذنِ بقِتالِ مَن أعلنَ القتالَ على المُسلمينَ، واعتَدَى عليهم بالفِعلِ، فهو قتالٌ مأذونٌ فيه مِن أجلِ الدِّفاعِ عن النفسِ، وليس مِن أجلِ الهُجومِ على غيرِ المُسلمينَ، وهذا ما يُفيدُه التعبيرُ بصيغةِ المبنيِّ للمفعول، ومعنى الآية: أُذِنَ للمُؤمنينَ الذين قُوتِلوا مِن قَبلُ -ولا يَزالون يُقتَلون- وظُلِموا وأُخرِجوا مِن دِيارِهم بغيرِ حَقٍّ، أن يُدافِعوا عن أنفسِهم وأموالِهم وأعراضِهم، بعدما مُنِعوا مِنَ القتالِ ثلاثةَ عَشَرَ عامًا أو يَزيدُ.

وخُلاصةُ القولِ في تحديدِ «الباعثِ» على الحربِ في الإسلامِ: هو أن الإسلامَ -مُنطلِقًا مِنَ الاعترافِ

(١) الجهاد طريق النصر، لعبد اللّٰه غوشة: ١٩٠ ضمن كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر.

www.alimamaltayeb.com

بتعدُّدِ الثقافاتِ والحَضاراتِ، وإقرارِ التعارُفِ بينها، ومبدأِ حريةِ الاعتقادِ- لا يُمكِنُ أن يَكُرَّ بالبُطلانِ والمُصادَرةِ على هذه المُسلَّماتِ التي أذاعها في الناسِ ووَعَتْها أسماعُهم وعُقولُهم ولا يُمكِنُ أن يُشَرِّعَ لهم مِنَ الحربِ والقتالِ إلَّا الحربَ العادلةَ التي تحمي حُقوقَ الشعوبِ، وترُدُّ العُدوانَ على المُعتدينَ.

سَبَبُ قتالِ الكفَّارِ:

تبيَّنَ لنا في الفِقرةِ السابقةِ أن أوَّلَ آيةٍ تأذَنُ للمُسلِمينَ بالقتالِ كانت مُعلَّلةً بعِلةِ «الدِّفاعِ» وردِّ الاعتداءِ، وأنَّ دوافعَها دوافعُ إنسانيَّةٌ خالِصةٌ، ذَكَرَ منها القرآنُ: رَفْعَ الظلمِ، والدفاعَ عن المُهَجَّرينَ قَسْرًا مِن ديارِهم، بَعدَ أن تركوا أموالَهم وأولادَهم رَغْمَ أُنوفِهم، كما ذَكَرَ مِن هذه الدوافعِ: «حِمايةَ» الأديانِ السماويَّةِ، ومُمارَسةَ أهلِها لعباداتِهم وشعائرِهم في أَمَنةٍ مِن تسلُّطِ الوثنيَّةِ والشِّرْكِ.

وهاهُنا سُؤالٌ مِحوَريٌّ: ما السببُ الذي يَجعَلُ قِتالَ المُسلمينَ لغيرِهم أمرًا مشروعاً؟ هل هي حالةُ العَداءِ؟ أو هي حالةُ «الكفرِ»، أي: رفضُ الإسلامِ والامتناعُ عن الدخولِ فيه؟

أمَّا جمهورُ عُلماءِ المُسلمينَ فقد أكَّدُوا أن «**العُدوانَ**» مِنَ الكفارِ على أمَّةِ الإسلامِ هو السببُ الرئيسُ في تشريعِ القتالِ، وأن الكفرَ وَحْدَه -مِن غيرِ عُدوانٍ- لا يَصلُحُ أن يكونَ سببًا شرعيًّا لإباحةِ الحربِ؛ لأنَّ القُرآنَ بعدما أقرَّ حريةَ الناسِ في الإيمانِ أو الكفرِ -كما سَبَقَ- يَستحِيلُ أن يأذَنَ في القتالِ لإكراهِ الكافرينَ، وإدخالِهم في دِينِ الإسلامِ، وإلَّا كان القرآنُ مُتناقِضًا يُكذِّبُ بعضُه بعضًا؛ لأنه يكونُ حينئذٍ كمن يُصدِرُ قانونًا يَضمَنُ حُرِّيةَ الاعتقادِ، ثم يُصدِرُ -في الوقتِ نَفْسِه- قانونًا ثانيًا يمْنَعُ هذه الحريةَ، ويفْرِضُ عقيدةً مُعيَّنةً على الناسِ، ثم يتَّخِذُ مِنَ الحربِ

www.alimamaltayeb.com

أداةً لفَرْضِ هذه العقيدةِ، ومَعاذَ اللَّهِ أن يَكونَ الكتابُ الحكيمُ كذلكَ، وأعداءُ القُرآنِ -رَغْمَ بحثِهم الدءوبِ عن شيءٍ يَعِيبونه به- لم يَستطيعوا أن يُسجِّلوا عليه تناقُضًا صارخًا كهذا.

وإِذَنْ؛ فما دامَ الكُفارُ، أو أَتْباعُ أيِّ دينٍ سماويٍّ أو وَضْعِيٍّ، بل المُلحِدونَ الذين لا يُؤمِنونَ بالأديانِ -ما دامَ هؤلاءِ يُسالِمونَ المُسلمينَ، ولا يُعلِنونَ العَداءَ عليهم، ولا يَتربَّصُون بهم الدوائرَ مِن وراءِ الثغورِ والحُدودِ، ولا يَتحالَفونَ مع عَدُوِّهم- فلا يَجوزُ قتالُهم بحالٍ مِن الأحوالِ، وليس لهم عِندَ المُسلمينَ إلا السِّلمُ والعدلُ والبِرُّ بهم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وجُمهورُ علماءِ المُسلمينَ مُتَّفِقونَ على ذلكَ، ويُقرِّرونَ في كُتبِهم الفقهيَّةِ عبارتَهم المَحفُوظَةَ، وهي:

www.alimamaltayeb.com

«**عِلَّةُ القِتالِ العُدوانُ وليس الكفرَ**»، ولهم في إثباتِ ذلكَ استدلالاتٌ عقليَّةٌ وتاريخيَّةٌ ونصِّيَّةٌ مِنَ القرآنِ والسُّنَّةِ:

أمَّا العقليَّةُ: فمنها: الاتفاقُ على تحريمِ قتلِ الشيخِ الفاني والطِّفلِ الصَّغيرِ والمرأةِ في ميادينِ القتالِ، وهذا التحريمُ ثابتٌ بنصِّ الحديثِ النبويِّ: «**لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا صَغِيرًا، وَلَا امْرَأَةً . . .**»[(١)]، ثم يبدأُ

(١) أخرجه أبو داود في سننه (**٢٦١٤**)، وابن أبي شيبة في مصنفه (**٣٣١١٨**) مِن حديثِ أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأخرج البخاري في صحيحه (**٣٠١٥**) ومسلم في صحيحه (**١٧٤٤**) مِن حديثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: «وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ».

وأخرج البيهقي في سننه الكبرى (**١٨٢٠٣**) أن أبا بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما بَعَثَ يَزيدَ بنَ أبى سُفيانَ إلَى الشّامِ أوصاه فقال: «لا تَقتُلوا صَبيًّا، ولا امرأةً، ولا شَيخًا كَبيرًا، ولا مَريضًا، ولا راهِبًا، ولا تَقطَعوا مُثمِرًا، ولا تُخَرِّبوا عامِرًا، ولا تَذبَحوا بَعيرًا ولا بَقَرَةً إلَّا لمأكَلٍ، ولا تُغَرِّقوا نَحلًا ولا تُحرِّقوه».

www.alimamaltayeb.com

الاستدلالُ العَقليُّ بقضيَّةٍ شرطيَّةٍ هي: لو كانت عِلَّةُ القِتالِ في الإسلامِ هي «الكفر» لَمَا كان هُناكَ أيُّ معنًى لمَنعِ المُسلمينَ مِن قَتْلِ هؤلاءِ الذين وَرَدَ ذِكرُهم في الحديثِ، ولَوَجَبَ أن يَقتُلَهم المُسلمون في الجهادِ كما يَقتُلُون الكفارَ سَواءً بسَواءٍ. لكنَّ استثناءَهم بتحريمِ قتلِهم دلالةٌ قاطِعَةٌ على أن سَبَبَ القتالِ ليس هو الكفر، وإنما هو أمرٌ آخَرُ بعيدٌ كلَّ البُعدِ عن الكفرِ والكفَّارِ، هذا الأمرُ -كما كرَّرْنا كثيرًا- هو: «العُدوانُ»، ولمَّا كانَ هؤلاءِ الضعفاءُ لا يُتصوَّرُ منهم حملُ السلاحِ، ولا الاعتداءُ، ولا الإيذاءُ، فإنه لا يَنطبِقُ عليهم وصفُ العُدوانِ، وتَنعدِمُ العلَّةُ المُوجِبةُ للقِتالِ، ويكونُ حُكمُهم حُكمَ الكفارِ المُسالِمينَ، ومِن هُنا حَرَّمَ النبيُّ ﷺ قَتْلَهم؛ لأنَّه لم يتحقَّقْ فيهم شَرْطُ العُدوانِ، وهذا دليلٌ على أنَّ العُدوانَ هو سببُ القتالِ في الإسلامِ، وليس الكفرَ كما يُقالُ.

أمَّا الأدلةُ التاريخيَّةُ على أن الإسلامَ حارَبَ الكفارَ لاعتدائهم على المُسلمينَ، وليس على كُفرِهم؛ فهي كبرياتُ الحُروبِ التي قادها النبيُّ ﷺ ضِدَّ المُعتدينَ مِن كفارِ قُريشٍ، وممَّن تَمَالأَ معهم مِن غيرِهم، فهذه الحروبُ وقعَتْ كلُّها إمَّا على مَشارِفِ المدينةِ المُنوَّرةِ، أو على حدودٍ قريبةٍ منها، ممَّا يدلُّ على أن المدينةَ -إبَّان هذه الحُروبِ- كانت في حالةِ دفاعٍ، ولم تكن في حالةِ هجومٍ.

هكذا كانت غَزوةُ بدرٍ، ومِثلُها غزوةُ أُحُدٍ، وأُحُدٌ جبلٌ بالمدينةِ، وغزوةُ الخندقِ الذي حَفَرَه المُسلِمونَ حولَ المدينةِ.

وكذلكَ فتحُ مكَّةَ الذي لم يكُنْ إعلانَ حربٍ على كفارِ قُرَيْشٍ، رَغمَ ماضيهِم في الأَذى والتَّنكيلِ بالنَّبيِّ ﷺ وأصحابِه، وقد سألهم، بعدَ أن دَخَلَ مكةَ فاتحًا دونَ قِتالٍ أو إراقةِ دماءٍ: «**مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟**» قَالُوا:

خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. ثُمَّ قَالَ: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»(١).

لقد عفا عنهم وصَفَحَ عن إساءتِهم، رَغْمَ أنه -لو أرادَ- يستطيعُ أن يُبِيدَهم بإشارةٍ مِن أُصبُعِه الشَّريفَةِ، لكنَّه كان يبحثُ عن السَّلامِ يتمَسَّكُ به، حتى مَعَ الأعداءِ، وكان في ذلك يُجسِّدُ منهجَ القُرآنِ الكريم في قولِه تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]، وقولِه تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، وقولِه

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه: ٢/ ٦١ مِن حديثِ قتادةَ مُرسَلًا.

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٢٣٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٢٧٥) مِن حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه بلفظ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَقُولُونَ؟» قَالُوا: نَقُولُ: ابْنُ أَخٍ، وَابْنُ عَمٍّ رَحِيمٌ كَرِيمٌ، ثُمَّ عَادَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: «فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]»، وأصلُه عند مُسلمٍ في صحيحه (١٧٨٠).

تعالى أيضًا: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٩٠]، وآياتٍ أخرى يَطُولُ استقصاؤها.

وأكبرُ دليلٍ على أن النبيَّ ﷺ، ومعه المُسلِمونَ، كانوا يُسالِمونَ مَن سالَمَهم مِن غيرِ المُسلمينَ: أنه لم يَشتَبِكْ مع الحَبَشةِ المسيحيَّةِ، والتي كانت على مَرمَى حَجَرٍ من شِبهِ الجزيرةِ، وكان يقولُ: «**اتْرُكُوا الحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ**»[1]، ولو أن القتالَ في الإسلامِ كانَ لإكراهِ غيرِ المُسلمينَ على الدخولِ في الإسلامِ؛ لكانتِ الحَبَشةُ أولَ بَلَدٍ يَفتَحُها المُسلمونَ لإجبارِ أهلِها على الدخولِ في الإسلامِ، ولكِنَّ ذلكَ لم يَحدُثْ، وظلَّتْ

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٣٠٩)، ومِن طريقه البيهقيُّ في السنن الكبرى (١٨٦٣٨)، وأحمد في مسنده (٧٠٥٢) والبزار في مسنده (٢٣٥٥)، والحاكم في المستدرك (٨٣٩٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٥٩٨). وقال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ولم يُخرِّجاه»، ووافقه الذهبي.

www.alimamaltayeb.com

صِلَةُ النبيِّ ﷺ -والمُسلِمينَ- بالحَبَشةِ صِلةً مُتميِّزةً سجَّلَها التاريخُ في صَفَحاتٍ تَفِيضُ بالمودَّةِ والسَّماحةِ.

ونحنُ لا نَمَلُّ مِن تكرارِ الحديثِ الشريفِ الذي سَبَقَ أن أورَدْناهُ، وهو قولُه ﷺ في كتابِه إلى أهلِ اليَمَنِ: «**مَنْ كَرِهَ الْإِسْلَامَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ؛ فَإِنَّهُ لَا يُحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ...**»(١)، وهذا الحديثُ وَحدَه يكفي في إسقاطِ كلِّ دَعاوَى المُتحامِلينَ على الإسلامِ، وكذلكَ دَعاوَى بعضِ المُسلِمينَ أنفسِهم ممَّن لا يَزالُونَ يُشوِّهونَ دِينَهم بتأويلاتٍ خاطئةٍ، ويُصِرُّون على أغاليطَ تزعُمُ أنَّ سببَ القتالِ في الإسلامِ ليس العُدوانَ، بل هو الكفر، وأنَّ المُسلمينَ عليهم أن يُقاتِلوا الكفارَ ويُطارِدوهم أينما كانوا، للدخُولِ في الإسلامِ أو دَفْعِ الجِزْيَةِ.

(١) تقدَّم تخريجُه صفحة: ٢٣، ٢٤.

www.alimamaltayeb.com

أمَّا نُصوصُ القُرآنِ ودلائلُه عَلَى أنَّ عِلَّةَ القِتالِ في الإسلامِ العُدوانُ وليس الكفرَ؛ فقد ذكَرْنا مِن قبلُ أوَّلَ آيةٍ نزلَتْ لتأذَنَ للمُسلِمينَ بالقِتالِ، بعدَما مُنِعُوا منه طَوالَ الفترةِ المكيَّةِ، وهي قولُه تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] وتبيَّن لنا هُناكَ أنَّ الحربَ المَشروعةَ في الإسلامِ هي الحربُ التي تتصدَّى للظلمِ، وتُدافِعُ عن حُقوقِ الوَطَنِ والمُواطَنةِ، وحرِّيَّةِ الاعتقادِ ومُمارَسةِ الشعائرِ . . . إلى آخرِ ما ذكَرْناهُ هُناكَ.

ونُضِيفُ هنا -إلى ما سبقَ- الآيةَ التي نزلَتْ تأمُرُ المُسلِمينَ بالقتالِ، وهي قولُه تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ

www.alimamaltayeb.com

ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٤].

ونَلفِتُ الأنظارَ إلى أنَّ الضَّمائرَ الواردةِ في الأمرِ بالقتلِ أو القتالِ في هذه الآيةِ: «قاتلوا - اقتُلُوهم - فاقتُلُوهم - وقاتِلُوهم» تَرجِعُ كلُّها إلى كلمةِ: «الذينَ يُقاتِلُونكم» المذكورةِ في صَدْرِ الآيةِ الأُولى، وترتبطُ بها ارتباطًا وثيقًا، بحيثُ يضطربُ فهمُ هذه الآياتِ لو رُحنا نَفهمُها بعيدًا عن هذه الكلمةِ «المَرجِعِ»، وبحيثُ يتعيَّنُ في تفسيرِ الآياتِ أن يَكونَ المعنَى: قاتِلُوا أيُّها المُسلِمونَ **مَن يُقاتِلونكم**، واقتُلُوا **مَن يُقاتِلونكم** حيثُ وَجدتُّمُوهم، لكن **لا تُقاتِلُوهم** عندَ المسجدِ الحرامِ، إلَّا إذا **قاتَلُوكم** عندَه فحينئذٍ **قاتِلُوهم**. فالضميرُ المُتكرِّرُ

www.alimamaltayeb.com

في: «اقتُلُوهم، وقاتِلُوهم» مرتبط بقوله تعالى في صدر الآيةِ الأولى: «الذينَ يُقاتِلُونكم»، وتكونُ الآياتُ بعدَها نُصوصًا مُتكرِّرةً قاطِعةً في أن الحربَ في الإسلامِ حربٌ دِفاعيَّةٌ، وليسَتْ حربًا هُجُومِيَّةً، سَواءٌ فيما يتعلَّقُ بالدعوةِ إلى اللَّهِ تعالى، أو العَلاقاتِ الدوليَّةِ بينَ المُسلِمينَ وغَيرِهم.

ورُغْمَ وُضوحِ الدَّلالةِ القُرآنيَّةِ على أن الأمرَ المُتكرِّرَ بالقتالِ وبالقتلِ في هذه الآياتِ مَقصودٌ به قتالُ أعداءِ المُسلِمينَ الذين يُعلِنونَ الحربَ عليهم؛ فإنَّ خُصومَ القُرآنِ يَتعمَّدُونَ الشغْبَ والتشويشَ على هذه الآياتِ البيِّناتِ الواضِحاتِ، ويسْتلُّون الآيةَ الثانيةَ: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]، بعدما يَبتُرونَها مِنَ السِّياقِ العامِّ الذي وَرَدَت فيه الآياتُ الخَمسُ، ويقطعُونَ «الضَّميرَ» الوارِدَ فيها عَن مَرجِعِه، لتَتَحوَّلَ الآيَةُ بعدَ ذلك إلى أمرٍ صَريحٍ قاطِعٍ

للمُسلِمِينَ بأن يَقتُلوا غيرَهم حيثُ وَجَدُوهم.

ونحنُ لا نَستغرِبُ صُدورَ هذه المُفتَرَياتِ مِن خُصومِ القُرآنِ الكريمِ؛ فهَذَا هو مَنهَجُهم الذي ارتَضَوْه، وهذه هي مَهَمَّتُهم التي نَذَروا حياتَهم مِن أجلِها، ولكِنَّ العَجَبَ الذي لا يَنقضِي هو إصرارُ كثيرٍ مِن أبناءِ القُرآنِ مِنَ المُسلِمينَ -ومِنهم عُلماءُ تقليديُّونَ في القديمِ والحديثِ- يَذهَبُونَ مَذهَبًا آخَرَ يَلتَقُونَ فيه مَعَ مَذهَبِ خُصومِ القُرآنِ في الغايةِ والمآلِ؛ فهؤلاءِ يَعترفونَ بأنَّ الآياتِ مُجتمِعةً دالَّةٌ -فِعلًا- على القتالِ الدِّفاعيِّ وليس الهُجوميَّ، لكنَّهم يَنسِفُونَ هذه الآياتِ نَسْفًا بدَلالاتِها الصريحةِ، حِينَ يَلجأون إلى القَولِ بالنَّسْخِ، ويحكمون بأنَّ هذه الآياتِ مَنسُوخةٌ حُكمًا لا تِلاوةً، وأنَّ الآيةَ التي نَسَخَتْها هي «آيةُ السَّيفِ»، مَعَ أن كلمةَ «السيفِ» لم تَرِدْ في القُرآنِ الكريمِ، لا مُفرَدةً ولا مُثنَّاةً ولا مَجموعةً، فهي ليسَتْ مِن مُفرداتِ الكتابِ المُبينِ، ولا مِن كلماتِه ولا ألفاظِه.

وأعجَبُ من ذلك: لو رُحْتَ تَسأَلُ هؤلاءِ عن آيةِ السيفِ هذه: ما هي؟ وفي أيَّةِ سُورةٍ مِن سُوَرِ القُرآنِ وَرَدَ ذِكرُها؟ فإنك تَدخُلُ -بسببِ اختلافِهم في تحديدِ آيةِ السيفِ- في مَتاهاتٍ مِنَ الأقوالِ المتضارِبةِ، لا تَعرِفُ فيها يمينًا مِن شِمالٍ. وأنا أَعجَبُ كيفَ تُنسَخُ آياتٌ مُحكَماتٌ بآيةٍ يَصعُبُ تحديدُها أو مجرَّدُ التعرُّفِ عليها؟! وهل يُمكِنُ أن يَنسَخَ المُختلَفُ في تحديدِ هُوُيَّتِه المُحكَمَ الواضِحَ في دَلالاتِه ومَعانِيه؟! على أنَّ قضيَّةَ النسخِ برُمَّتِها عليها علاماتُ استفهامٍ في مفهومِ النسخِ والمُرادِ منه!!

ويَجِبُ أن نَتنبَّهَ إلى أنَّ هذه الآياتِ الخَمسَ المَذكُورةَ آنِفًا مِن سُورةِ البقرةِ، هي أُمَّهاتٌ قرآنيَّةٌ لدُستورِ القتالِ في الإسلامِ، بل هي أصلٌ تُرَدُّ إليه بقيَّةُ آياتِ القتالِ الأُخرى التي تنوَّعَتْ بحَسَبِ مُقتَضَياتِ النزولِ وأسبابِه، وسوفَ يَكتَشِفُ الباحثُ المُدقِّقُ في

الآياتِ الأُخرى التي تَحُثُّ على الجهادِ أنَّها مَحكُومةٌ بالمَبادئِ ذاتِها التي تَضَمَّنَتْها آياتُ سُورةِ البقرةِ، وهي أن تكونَ غايةُ القتالِ «في سَبيلِ اللَّهِ»، وأن يَقتصِرَ القتالُ على مَن يُبادِئُ المُسلِمينَ به، وألَّا يَعتدِيَ المُسلِمونَ على غَيْرِهم(١)؛ لا في ابتداءِ الحربِ ولا في استمرارِها، وأن يُسارِعوا للجُنُوحِ للسَّلمِ إذا ما جَنَحَ إليه العدُوُّ . . . إلى آخِرِ ما تضمَّنَتْه هذه الآياتُ مِن مَبادِئَ إنسانيَّةٍ رفيعةٍ في مُعامَلةِ الأعداءِ سِلْمًا وحَرْبًا.

مِن هذه الآياتِ: آياتُ القتالِ الوارِدَةُ في سُورةِ النِّساءِ، وهي قولُه تعالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا

(١) مما يؤكِّدُ المعنَى العام لهذه الآيات وأنها وردت لبيان أن الحرب للدفاع وليست للعدوان - أن كثيرًا من أئمة التفسير يفسرون الاعتداء المنهيَّ عنه في الآية: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ بأنه قتال من لم يقاتل.

وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

وقولُه تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [النساء: ٨٤].

وقولُه تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٩٠].

وقولُه تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ٩١]

ولا يَرْتابُ مُنصِفٌ في أنَّ هذه الآياتِ تَدرُجُ في الدَّرْبِ نَفْسِه الذي تَدرُجُ فيه آياتُ سُورةِ البقرةِ، وأنَّها تَحمِلُ في مَتْنِها أنصَعَ الدَّلائلِ على أنَّ المُسلِمينَ لا يَلجَئُونَ للحَرْبِ إلَّا إذا دَعَتْهم لذلكَ ضروراتُ الدِّفاعِ لا الهُجومُ.

ففي الآيةِ الأُولى دِفاعٌ عن المُستضعَفينَ مِنَ المُسلِمينَ مِن أجلِ تخلِيصِهم مِن أيدي الكُفَّارِ، وهؤلاءِ المُستضعَفونَ هُمُ الذينَ أسلَمُوا بمكَّةَ، وحَبَسَهُمُ المُشرِكونَ، ومَنَعُوهُم مِنَ الهِجرةِ إلى المدينةِ، «فبَقُوا بينَ أظهُرِهم مُستذَلِّينَ مُستضعَفِينَ يَلقَوْنَ مِنهم الأذَى الشديدَ»(١).

وفي الآيةِ الثانيةِ تحريضٌ للمُسلِمينَ على القتالِ لكَفِّ بَأْسِ المُشركينَ وجَبَرُوتِهم وشِدَّتِهم على أهلِ الإسلامِ، وهو ما يُشيرُ إليه -في وُضُوحٍ- قولُه تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [النساء: ٨٤].

والآيةُ الثالثةُ نَصٌّ قاطِعٌ في أنَّ الحَرْبَ في الإسلامِ مُرتبِطةٌ بـ «العُدوانِ» وُجُودًا وعَدَمًا، وأنَّ الكفارَ إذا لم يَتعرَّضُوا للمُسلِمينَ ولم يُقاتِلُوهم، ومَدُّوا إليهِم أيديَهم

(١) «الكشَّاف بحاشية الطِّيبيِّ»: ٥/ ٦٥.

www.alimamaltayeb.com

بالسلامِ، فليس للمُسلِمينَ سَبيلٌ عليهم، ونَفْيُ «السبيلِ» في الآيةِ مَعناهُ: عدمُ الإذْنِ في القِتالِ.

لكن إذا لم يَلتزِمِ الكفارُ بعَلاقةِ السَّلْمِ بالمُسلِمينَ، ولم يَكُفُّوا أيديَهم عنهم؛ فهُنا لا مَفَرَّ مِن مُواجَهةِ الاعتداءِ، ورَدِّ العُدْوانِ بالقُوَّةِ المَشروعةِ، وهذا ما تَشتَمِلُ عليه الآيةُ الرابعةُ.

وجُملةُ القولِ: أنَّ هذه الآياتِ لا تَخرُجُ في دَلالاتِها عمَّا قرَّرَتْه آياتُ سُورةِ البقرةِ مِن أنَّ الحربَ في الإسلامِ حربُ دِفاعٍ لا اعتداءَ فيه.

وتَبقَى في هذا البحثِ -المَحدُودِ- عن «**الإسلامِ والسلامِ**» آيتانِ في سُورةِ التوبةِ، يتَّخِذُ منهما الخُصومُ ذريعةً لترويجِ فِريةِ انتشارِ الإسلامِ بالسيفِ، ودَعوةِ القُرآنِ للمُسلِمينَ إلى قِتالِ أهلِ الكتابِ مِنَ اليهودِ والمَسيحيِّينَ، حتى وإن لم يَبدَأْهم هؤلاءِ بحَرْبٍ أو قتالٍ.

www.alimamaltayeb.com

الآيةُ الأُولى: قولُه تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة: ٢٩، ٣٠].

ويَجِبُ أن ننتبِهَ في هذه الآيَةِ الكَريمَةِ إلى أمرَيْنِ:

الأمرُ الأوَّلُ: أنَّ الأمرَ بقِتالِ هذه الفئةِ الموصوفةِ بأوصافٍ محدَّدةٍ، ليس لعدمِ إيمانِها باللَّهِ واليومِ الآخِرِ، وما عُطِفَ عليه بعدَ ذلك مِن أوصافٍ أُخرى، وإلَّا اصطدَمَتْ هذه الآيةُ اصطِدامًا صارخًا بآيةِ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، بل تصطدِمُ بكلِّ الآياتِ التي تُقرِّرُ حَقَّ الاعتقادِ، وحُرِّيَّةَ الإيمانِ، وحُرِّيَّةَ الكفرِ، والتي تَعدَّدَ وُرودُها في القُرآنِ في أكثرَ

مِن مِائةِ مَوْضعٍ على الأقلِّ، وهذا عَبَثٌ لا يَلِيقُ بالقُرآنِ الذي أُحكِمَتْ آياتُه ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ.

وإذَنْ؛ فالصفاتُ التي وُصِفَ بها أهلُ الكِتابِ وفي مقدِّمَتِها عدمُ الإيمانِ باللَّهِ وباليومِ الآخِرِ، ليسَتْ هي العلَّة في صيغةِ الأمرِ: «**قاتِلُوا**»؛ وإنَّما هذه الصِّفاتُ صِفاتٌ كاشِفةٌ لتحديدِ شَخصِيَّةِ هذه الفئةِ فقط، والدليلُ على ذلكَ: أنَّ القُرآنَ جَعَلَ الغايةَ التي يَتوَقَّفُ عندَها القتالُ هي «دَفعَ الجِزيَةِ»، وليسَتْ دخولَهم في الإسلامِ، ولو أنَّ قتالَ هؤلاءِ كانَ مِن أجلِ عدمِ إيمانِهم؛ لَمَا صَحَّ توقُّفُ القتالِ عندَ دَفْعِ الجِزيَةِ، ولَوَجَبَ ألَّا يَتوقَّفَ قتالُهُم إلَّا بعدَ اعتناقِهِمُ الإسلامَ، وهذا ما يأباهُ سِياقُ الآيةِ؛ ويَتعارَضُ معَه صَدْرُها معَ عَجُزِها تعارُضًا تامًّا.

الأمرُ الثاني: أنَّ المقصودَ مِن هؤلاءِ هُمْ مجموعةٌ معيَّنةٌ من نصارَى «الرُّومَانِ» الذينَ كانُوا يَتربَّصُونَ بالدِّينِ الجديدِ ويُعِدُّونَ العُدَّةَ للقَضاءِ عليه، وكان تربُّصُهم هذا

www.alimamaltayeb.com

سَبَبًا لغزوةِ تَبُوكَ، التي تَصدَّى فيها المسلمون للرُّومِ، ولولا ذلك لقُضِيَ على الإسلامِ وأهلِه قَضاءً مُبرَمًا؛ فالآيةُ خاصَّةٌ بالرُّومِ المتربِّصينَ بالمسلمينَ في شمالِ الجَزيرةِ، وليسَت عامَّةً في أهلِ الكتابِ، بل ولا في غيرِهم مِن الكفَّارِ ما داموا مُسالِمِينَ(١).

أمَّا الآيةُ الثانيةُ: التي يَستَنِدُ إليها خصومُ الإسلامِ والمُسلِمينَ؛ فهي قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]؛ فقد وَقَفَ هؤلاءِ الخصومُ عندَ ظاهِرِ هذه الآيةِ، وزَعَمُوا أنَّ الإسلامَ يأمُرُ

(١) روى الطبري في تفسيره: ١/ ٤٠٧ عن مجاهد أنَّه قال في قولِهِ تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، قَالَ: «نَزَلَ هَذَا حِينَ أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ بِغَزْوَةِ تَبُوكَ»، وأخرجه أيضًا ابنُ أبي حاتِمٍ في تفسيرِه: ٦/ ١٧٧٨، والبيهقيُّ في سُنَنِه الكُبرى: ١٨٦٧٥.

بقتالِ الكفارِ المُسالِمينَ ومُطارَدَتِهم، حتى يُعلِنوا إسلامَهم، أو يُستَأصَلُوا عن آخِرِهِم.

وقد بيَّنَ العُلماءُ أنَّ هذه الآيةَ ليسَتْ واردةً لبيانِ أسبابِ القتالِ ودوافعِه، حتى تُتَّخَذَ حُجَّةً على أنَّ الإسلامَ دِينُ سيفٍ وعُدوانٍ على الآخَرِينَ؛ بل هي واردةٌ في مَعرِضِ تنظيمِ أمرِ الجهادِ، وترتيبِه، وبيانِ الأولِيَّاتِ، فقَدْ تتعَدَّدُ مُقتضَياتُ الجهادِ، فعِندَئذٍ يَجِبُ التَّصدِّي -أوَّلًا- للعدُوِّ القريبِ قَبْلَ العَدُوِّ البعيدِ؛ وذلكَ حتى لا يُؤتَى الحَذِرُ مِن مأمَنِه، ويَنشَغِلَ المُسلِمونَ بالأبعَدِ عن الأَقْرَبِ، فيَقَعُوا بينَ قطْبَيِ الرَّحَى، وهذه الآيةُ واردةٌ في هذا المَعنى تحديدًا، وهي مخصوصةٌ بتَقديمِ قتالِ العَدُوِّ القريبِ قبلَ العَدُوِّ البعيدِ.

وهذه الآيةُ تشبِهُ الآيةَ الواردةَ في تنظيمِ الدعوةِ إلى الإسلامِ، والبَدْءِ بالأقربِ في قولِه تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]، ولا يَستقِيمُ -عَقْلًا- أن يُؤخَذَ مِن

هذه الآيةِ أنَّ رسالةَ الإسلامِ مُنحصِرةٌ في بلاغِ الأقربينَ فقط؛ ليكونَ الإسلامُ حالَتَئذٍ دِينَ عشيرةٍ أو قبيلةٍ، وليس دِينًا عالميًّا.. فهذا الزَّعْمُ تَدحَضُه عَشَراتُ الآياتِ التي يَتوَجَّهُ الخِطابُ فيها إلى الناسِ عامَّةً، ويَتأكَّدُ عمومُها بأدواتِ التأكيدِ، مِثل: «**كافَّةً**» و «**جميعًا**»، وغيرِهما مِنَ الكَلِماتِ الَّتي تَرِدُ لإفادةِ العُمومِ، ويَكفي في ذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومعَ كلِّ هذه الدَّلائلِ على عمومِ الرِّسالةِ زمانًا ومكانًا وخلْقًا وَجَدْنا مَن يَستمسِكُ بآيةِ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]؛ ليقول: إن الإسلام دينٌ محليٌّ، وإنَّه منحصِرٌ في عربِ الجزيرةِ. ويُغمِضُ عَينَيهِ عن بقيَّةِ الآياتِ الَّتي تَضرِبُ هذا الزَّعمَ في مَقتَلٍ!!

وهذا المَنهَجُ الاجتزائيُّ هو نفسُهُ المَنهَجُ الَّذي يُطبِّقُه المُضلِّلونَ على آيةِ تَنظيمِ القِتالِ، مُتغافِلينَ -عَمْدًا- سائرَ الآياتِ الأُخرى الَّتي تَنُصُّ صراحةً -أو ضِمنًا- على أنَّ الإسلامَ لا يُحارِبُ إلَّا مَن يُحارِبُه.

وخيرُ ما نَستشهِدُ به في نِهايةِ بَحثِنا هو كلامُ الإمامِ المُجتهِدِ العلَّامةِ الشَّيخِ محمود شلتوت في بحثِه المُعمَّقِ الدَّقيقِ عن آياتِ القتالِ في القرآنِ الكريمِ، والَّذي انتهى فيه إلى:

١- أنَّه لا تُوجَدُ آيةٌ واحدةٌ في القرآنِ الكريمِ تَدُلُّ أو تُشيرُ إلى أنَّ القِتالَ في الإسلامِ، لِحَملِ النَّاسِ على اعتناقِه.

٢- وأنَّ سببَ القِتالِ -كما تَدُلُّ عليه الآياتُ السَّابقةُ- يَنحصِرُ في ردِّ العُدوانِ وحمايةِ الدَّعوةِ وحُرِّيَّةِ الدِّينِ.

٣- وأنَّ القرآنَ حِينَما شَرَعَ القِتالَ نَأَى به عن جوانبِ الطَّمَعِ والاستِئثارِ وإذلالِ الضُّعفاءِ، وابتغاهُ طريقًا إلى السَّلامِ والاطمئنانِ وتركيزِ الحياةِ على موازينِ العدلِ والمُساواةِ[1].

---

(١) الأستاذ الأكبر الشيخ/ محمود شلتوت، «الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب»: **٣٧، ٣٨**.

www.alimamaltayeb.com

وإنَّ أجمعَ الدَّلائلِ وأقوَى البَراهِينِ عَلَى نَزعَةِ السَّلامِ الكامِنَةِ، والبعيدَةِ الأغوارِ هناك في أطواءِ العَلاقَةِ بينَ المُسلمِينَ وغيرِهم -أيًّا كان هذا الغيرُ- هذا الدُّستورُ القُرآنيُّ الذي تصُوغُه الآيةُ الكريمةُ -وهو ما نَخْتَتِمُ به-: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩] صَدَقَ اللَّهُ العظيمُ.

* * *

وبعدُ:

فهذه هي فلسفةُ القِتالِ في الإسلامِ، ذكرَناها في إيجازٍ نرجُو أن يكونَ كافيًا لاكتشافِ «السَّلامِ» في هذا الدِّينِ الحنيفِ، غيرَ أنَّه يَتَبَقَّى في موضوعِ القِتالِ، أو الجهادِ، الكثيرُ ممَّا يتعلَّقُ بقَضايا أخلاقيَّةٍ تَسبِقُ

القِتالَ، وتَصحَبُه وتَعقُبُه، وكُلُّها أخلاقيَّاتٌ لا نعرِفُ لها نَظيرًا في أيِّ دِينٍ أو نظامٍ حضاريٍّ أو معاهداتٍ دوليَّةٍ إلَّا في نِظامِ الإسلامِ وشَريعَتِه السَّمحَةِ التي وَسِعَتِ النَّاسَ جميعًا.

وأرجو أن يتَّسِعَ الوقتُ لعَرضِ أخلاقياتِ الإسلامِ في الحُروبِ في كُتيِّبٍ يَتناولُها مِن خِلالِ المقارَنَةِ بينَها وبينَ أخلاقيَّاتِ الإرهابِ الجديدِ المعاصِرِ، لنَعلَمَ حينذاك أنَّ الإسلامَ برِيءٌ مِن هذا العُدوانِ المُسَلَّحِ على النَّاسِ، حتَّى وإن لَبِسَ مُسُوحَ الأديانِ كُلِّها.



ثَبَتُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِع

الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب، لمحمود شلتوت (ت. ١٣٨٣هـ) مطبعة الأزهر، بالقاهرة: د.ت.

الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ت. ٨٥٢هـ) دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.

الأموال، لأبي عُبيد القاسم بن سلَّام (ت. ٢٢٤هـ) تحقيق: محمد خليل هرَّاس (ت. ١٣٩٥هـ) مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ.

الأموال، لحميد بن مخلد المعروف بابن زنجويه (ت. ٢٥١هـ) تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

تاريخ الرسل والملوك، لابن جرير الطبري (ت. ٣١٠) دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٨٧هـ.

تفسير ابن كثير = انظر: تفسير القرآن العظيم...

تفسير السمعاني = انظر: **تفسير القرآن...**

تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ابن أبي حاتم الرازي (ت. ٣٢٧هـ)، بتحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

www.alimamaltayeb.com

تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت. ٧٧٤ هـ) تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت. ٢١١هـ) تحقيق: مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٠هـ.

تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت. ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

التفسير الكبير = **مفاتيح الغيب**، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت. ٦٠٦هـ) دار الفكر، بيروت: ١٤٠١هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت. ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد شاكر ومحمود شاكر، طبعة جديدة لمؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

الجهاد طريق النصر، لعبد اللَّه غوشة (ت. ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) بحث ضمن: كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

حاشية الكشاف، انظر: الكشاف

حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت. ٤٣٠) مطبعة السعادة، مصر: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت. ٤٥٨ هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بحيدر آباد: ١٣٤٤هـ.

السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت. ٣٠٣)، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

صحيح البخاري، لأبي عبد اللَّه محمد بن إسماعيل البخاري (ت. ٢٥٦هـ) تحقيق : محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية، ١٤٠٠هـ.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بَلَبان، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت. ٣٥٤هـ)، باعتناء: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

«**صحيح مسلم**»، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج (ت. ٢٦١)، تحقيق: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (ت. ١٩٦٨م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).

العلاقات الدولية في الإسلام، لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

www.alimamaltayeb.com

غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (ت. ٨٥٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت: ١٤١٦هـ.

كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت. ٥٣٨هـ) بحاشية شرف الدين الطيبي (ت. ٧٤٣هـ) جائزة دبي للقرآن الكريم: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي الحنبلي النعماني (ت. ٧٧٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت: ١٤١٩هـ.

المحلى، لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت. ٤٥٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر (ت. ١٣٧٧هـ) المطبعة المنيرية، القاهرة: ١٣٥٢هـ.

المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه الحاكم (ت. ٤٠٥) تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الميمان، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ.

المسند، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، المعروف

www.alimamaltayeb.com

بالبزار (ت. ٢٩٢هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين اللَّه (ت. ١٤١٨هـ)، وغيره، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨-٢٠٠٩م.

المسند، لأبي عبد اللَّه أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١هـ) باعتناء: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت. ٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (ت. ١٤١٢هـ) المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.

معرفة الصحابة، لأبي نُعيم الأصبهاني (ت. ٤٣٠هـ) تحقيق: عادل العزازي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

www.alimamaltayeb.com

الفِهرِسُ التّفصِيليُّ

al-Mustadrak ‘alá al-ṣaḥīhayn, d’Abū ‘Abd Allāh Muḥammad Ibn ‘Abd Allāh al-Ḥākim al-Naysābūri (mort en 405h.), recensé par un groupe de chercheurs égyptiens, Dar al-Maymān, Riyad, 1ère édition, 1435h.

Al-Musnad d’Abū Bakr Aḥmad Ibn ‘Amru Ibn ‘Abd al-Khāliq, reconnu sous le nom al-Bazzār (mort en 929h.), recensé par Maḥfūẓ al-Raḥmān Zīn Allāh (mort en 1418h.) et d’autres, Maktabat al-‘ulūm wa al-ḥikam, Médine, 1ère éd., 1988- 2009 ap.J.-C.

Al-Musnad d’Abū ‘Abd Allāh Aḥmad Ibn Ḥanbal (mort en 241h.) sous l’égide de Shu‘ayb al-Arna’ūṭ et d’autres, Mu’assat al-Risālah, Beyrouth, 1ère édition, 1421h./2001ap. J.-C.

al- Muṣannaf (le Classifié) de ‘Abd al-Rāziq Ibn Hammām al-Ṣan‘ānī (mort en 211h.), recensé par Ḥabīb Ibn ‘Abd al-Raḥmān al-’A‘ẓumī (mort en 1412h.), al-Maktab al-’Islamī, Beyrouth, 2ème édition, 1403.

Ma‘rifat al-Ṣaḥābah (connaitre les compagnons) d’Abū Nu‘aym al-Aṣbahānī (mort en 430h.), recensé par ‘Ādel al-‘Azzāzī, Dār al-Waṭan, al-Riyād, 1ère Ed. 1419h.

Maṭba'a al-Salafiyyaha, 1ère édition 1400h.

- *Ṣaḥiḥ* d'Ibn Hibbān agencé par Ibn Balabān Abū Ḥātim Muḥammad Ibn Hibbān al-Bastī (mort en 354h.) sous l'égide de de Shu'ayb al-Arna'ūṭ, Mu'assat al-Risālah, Beyrouth, 1ère édition, 1414h/1993ap. J.-C..

- «*al-Ṣaḥiḥ*» de Muslim Ibn al-Hajjaj al-Naysābouri (mort en 261h.), recensé par Muḥammad Fu'ād 'Abdul Bāqī, (mort en 1967), Dar Iḥiyā' al-turath al-'arabi, Beyrouth (sans date)

- Al-'ilāqāt al- Duwaliyyah fi al-'islām (les Relations internationales en Islam) du cheikh Muḥammad Abū Zahra, Dār al-Fikr al-'Arabī, le Caire, 1415h. / 1995ap. J.-C.

Gharā'ib al-Qur'ān wa raghā'ib al-Furqān (les termes difficiles du Coran et les les choses désirables du Discernement) de Niẓām al-Dīn al-Ḥasan Ibn Muḥammad al-Qimmī al-Naysābūrī (mort en 850h.), éd. Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beyrouth, 1416h.

Acte de Colloque de la quatrième Conférence de l'Académie des recherches Islamiques de l'Azhar, l'Azhar, 1388h. /1968ap. J.-C..

al- *Kashshaf 'an Ḥaqā'iq al-Tanzīl wa 'Uyūn al-'Aqawīl fī Wujūh al-Ta'wīl* (Révélateur des Vérités de la Révélation et trésors des propos relatifs aux divers aspects de l'interprétation) d'Abū al-Qasim Maḥmūd Ibn 'Umar al-Zamakhsharī al- Khuwarizmī (mort en 538h.) annoté par Sharaf al-Dīn al-Ṭīibī (mort en 743h.), Publications du Prix de Dubaï pour le Noble Coran 1434H/ 2013Ap. J.-C

al-Lubāb fi ulūm al-Kitāb(la Moelle dans les sciences du Livre) d'Abū Ḥafṣ A'Umar Ibn 'Alī Ibn 'Alī al-Ḥanbalī al-Nu'mānī (mort en 775h.), éd., Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beyrouth, 1419h.

al- Muḥallá de 'Alī Ibn Aḥùad Ibn Ḥazm al-Andalusī (mort en 456h.), recensé par Aḥmad Muḥammad Shākir (mort en 1377h.), éd. Al-Maṭba'a al-Munīriyyah, le Caire,1352h.

www.alimamaltayeb.com

Musallam, Maktabat al-Rushd, Riyad, 1410h.

Tafsir al-Qurān (Exégèse du Coran) d'Abū al-Muẓaffar Manṣur Ibn Muḥammad al-Sam'ānī (mort en 489h.), recensé par Yāsir Ibrāhīm et Ghunaym Ibn 'Abbās, Ed. Dār al-Waṭan, Riyad, 1418h/ 1997ap.J.-C.

Al-Tafsīr al-Kabīr: Mafātīh al-Ghayb (la Grande Exégèse: les Clés d'al-Ghayb) d'al-Rāzī (mort en 606h.),éd. Dār al-Fikr, Beyrouth,1401h.

Jāmi' al-Bayān fī ta'wīl al-Qur'ān (Assemblage de l'éloquence dans l'interprétation du Coran) d'Ibn Jarīr al-Ṭabarī (mort en 310h.) recensé par Aḥmad Shākir et Maḥmūd Shākir, nouvelle édition, Mu'asasat al-Risāla, Beyrouth, 1420h./2000p.J.-C.

al-Jihād ṭarīq al-naṣr (le jihād, chemin de la victoire) d''Abd Allāh Ghūcha (1397h. /2000ap. J.-C.), in Actes de la Quatrième Conférence de l'Assemblée de Recherches Islamiques, 1388 de l'Hégire/ 1968 ap. J.-C.

Ḥashiyat al-Kashshāf (annotations d'al-Kashshāf), Voir al-Kashshāf….

Ḥilyat Al Awliā' (les Ornements des Pieux) d'Abu Nu'aym al-Aṣbahānī (mort en 430h.), Imprimerie al-Sa'āda, Egypte, 1394h. / 1974ap. J.-C.

Al- Sunan al-Kubrá d'Abū Bakr Ibn Aḥmad Ibn al-Ḥussayn al- Bayhaqī (mort en 485h.), publication du Conseil de l'administration régulière de l'enseignement à Hyderabad en Inde, 1344h.

Al-sunan al-Kubrá d'Abū 'Abd al-Raḥmān Ibn Aḥmad Ibn Shu'ayb al- Nasā'ī (mort en 303h.) sous la dir. de Shu'ayb al-Arna'ūṭ, Mu'assat al-Risālah, Beyrouth, 1ère édition, 1421h.

- *Ṣaḥiḥ al-Bukhārī* d'Abū 'Abd Allāh Muḥammad Ibn Ismā'īl al-Bukhārī (mort en 256h.), recensé par Muḥib al-Dīn al-Khaṭīb et Muḥammad Fuū'ād 'Abd al- Bāqī, éd., al-

www.alimamaltayeb.com

Bibliographie

al-islām wa al ʻilāqāt al-duwaliyyah fi al silm wa al-ḥarb(les relations internationales au temps de la paix et de la guerre) du cheikh Mahmoud Shaltūt, (mort en 1383h.), Imprimerie d'al-Azhar, le Caire, S.D.

al-'Iṣāba fi Tamyīz al-ṣaḥāba (atteindre l'objectif en matière de la distinction entre les compagnons) d'Ibn Ḥajar al-ʻAsqalānī (mort en 852h.), Ed. Dar Hajar, la Caire, 1ère éd., 1429h.

al-Amwāl (les Biens) d'Abū ʻUbayd al-Qāsim Ibn Sallām (mort en 224h.), recensé par Muḥammad Khalīl Harrās (mort en 1395h.), Maktabat al-Kulliyāt al-Azhariyya, le Caire, 3ème éd.,1401h.

al-Amwāl (les Biens) de Ḥumayd Ibn Mukhallad reconnu sous le nom Ibn Zingawayh (mort en 251h.), recensé par Shākir Dhīb Fayyāḍ, Centre du Roi Fayṣal pour les recherches et les études islamiques, Arabie saoudite, 1ère éd.,1406h.

Tārikh al-'umam wa al-Mulūk (Histoire des rois et des nations) d'Ibn Jarīr al-Ṭabarī (mort en 310h.), Ed. Dar al-Turāth, Beyrouth, 2ème éd., 1387h.

Tafsir al-Qurān al-ʻaẓīm (Exégèse du Glorieux Coran) d'Abū Muḥammad Ibn ʻAbd al-Raḥmān Ibn Muḥammad Ibn 'Idrīs, Ibn Ḥātim al-Rāzī (mort en 327h.), recensé par Asʻad Muḥammad al-Ṭayyeb, Maktabat Nizār Muṣṭafa al-Bāz, royaume de l'Arabie Saoudite, 3ème éd., 1419h.

Tafsir al-Qurān al-ʻaẓīm (Exégèse du Glorieux Coran) d'Abū al-Fidā' Ibn ʻUmar Ibn Kathīr al-Qurashī al-Dimashqī (mort en 774h.), recensé Sami Muḥammad Salāma, Ed. Dār Ṭība pour l'Imprimerie et la distribution, Riyad, 2ème éd.,1420h./ 1999ap. J.-C..

Tafsir al-Qurān (Exégèse du Coran) de ʻAbd al-Rāziq Ibn Hammām al-Ṣanʻānī (mort en 211h.), recensé par Muṣṭafa

Lorsque le Coran a légiféré le combat, il l'a éloigné de toute sorte de convoitise, de suprématie, de l'humiliation des faibles. Il y recourt comme un chemin menant à la paix et à la tranquillité et ce en vue d'assurer la justice et l'égalité dans la vie. [63]

Enfin, les meilleurs propos par lesquels nous devons conclure est le verset coranique où Allah, le Très Haut, dit :

«*Allah ne vous défend pas d'être bienfaisants et équitables envers ceux qui ne vous ont pas combattus pour la religion et ne vous ont pas chassés de vos demeures. Car Allah aime les équitables»* [64]

Enfin, nous avons brièvement abordé la philosophie de la lutte armée en Islam d'une manière que j'espère suffisante pour envisager le concept de «la paix». Cependant, il reste à étudier beaucoup de questions éthiques qui précèdent, accompagnent ou suivent la lutte armée. Ce sont des éthiques qui n'ont rien de comparable dans une religion ni dans un système politique ni dans des traités internationaux. Ces éthiques n'existent que dans le système de l'Islam et sa Charia tolérée qui a englobé tout le monde.

J'espère que le temps me permettra de présenter l'éthique de l'Islam en matière de guerres dans un petit livre en le comparant à celui du nouveau terrorisme contemporain pour savoir enfin que l'Islam désavoue cette agression armée contre les humains même si elle prend une forme religieuse.

63. Le cheikh Mahmoud Shaltūt: al-islām wa al ʻilāqāt al-duwaliyyah fi al silm wa al- ḥarb(les relations internationales au temps de la paix et de la guerre), pp.37-38 ,.

64. Sourate al-Mmumtaḥana, l'Eprouvée, V.8.

www.alimamaltayeb.com

pas logique de dire que le massage de l'Islam n'est destiné qu'aux plus proches, car s'il est ainsi, il devient la religion d'un clan ou d'une tribu et non pas une religion universelle. En réalité, une telle allégation est réfutée par des dizaines de verstes où le discours est adressé à tout le monde sans exception et qui sont tous accentués par les particules de l'accentuation comme « *kāffatan"* et *«Jamīʻān»* et d'autres qui montrent la généralité et la globalité. Il suffit de citer le verset coranique : « ***et nous ne t'avons envoyé qu'en miséricorde pour l'univers***».[61]

Malgré toutes ces preuves et tous ces arguments, nous avons trouvé ceux qui s'attachent au verset :» *et avertis les gens qui Te sont les plus proches.*»[62] en vue de diffuser l'idée que l'Islam est une religion locale et il est destiné uniquement à la Péninsule arabe en passant sous silence les autres versets réfutant une telle allégation. C'est aussi la même méthode de la fragmentation du texte, *ijtizā',* adoptée par les trompeurs pour comprendre le verset organisant le combat tout en négligeant délibérément que tous les autres versets stipulent explicitement ou implicitement que l'Islam ne mène la guerre que contre ceux qui le combattent.

En fin de compte, la meilleure citation par laquelle nous concluons notre recherche est les propos de l'imam *mujtahid* l'érudit cheikh, Maḥmūd Shaltūt dans sa recherche approfondie et minutieuse sur les versets du combat dans le Coran dans laquelle il a abouti à ce qui suit :

Aucun verset dans le Coran prouvant ou indiquant que le combat en Islam a pour fin de forcer les gens à s'y convertir.

Les motifs de la guerre - comme l'indiquent les verstes déjà cités- se limitent au fait de repousser l'agression, et de protéger la *daʻwa* et la liberté de croyance.

---

61. Sourate al-'Anbiā', les Prophète s, V107.
62. Sourate al-Shuʻarā', les Poètes, V.214.

www.alimamaltayeb.com

particulier les byzantins au nord de l'Arabie et non pas tous les Gens de livre ou les autres mécréants.[58]

Le deuxième verset sur lequel s'appuient les détracteurs de l'Islam est le suivant:

« *Ô vous qui croyez ! Combattez ceux des mécréants qui sont près de vous ; et qu'ils trouvent de la dureté en vous. Et sachez qu'Allah est avec les pieux».* [59]

A propos de ce verset, les adversaires de l'Islam s'arrêtent au sens apparent du verset en prétendant que l'Islam ordonne aux musulmans de combattre les mécréants pacifiques et de les pourchasser jusqu'ace qu'ils se convertissent à l'Islam ou qu'ils soient exterminés. Les oulémas ont montré que ce verset n'explique pas les motifs du combat et ses objectifs pour qu'on le prenne comme argument prouvant que l'Islam est une religion d'épée et d'agression contre les autres. En effet, ce verset est révélé afin de régulariser le *jihād*, ses dispositifs, ses priorités en cas d'en avoir plusieurs dans la mesure où l'on doit d'abord faire face à l'ennemi proche avant celui lointain. Car si les musulmans sont tellement pris par ce dernier, le proche peut les surprendre et ils seront ainsi entre le marteau et l'enclume. Or, le verset vise essentiellement ce sens et concerne en particulier le combat de l'ennemi proche avant celui lointain. Il est également comme le verset révélé pour organiser la *da'wa* au début de l'Islam. *La da'wa* a commencé par le plus proche. A ce propos, le Coran dit : « *et avertis les gens qui Te sont les plus proches.*»[60] Il n'est donc

58. al-Ṭabarī a rapporté dans son Tafsīr (Exégèse) 1/.407 que Moujahid a dit à propos du verset « Ô vous qui croyez ! Combattez ceux des mécréants qui sont près de vous ; et qu'ils trouvent de la dureté en vous. Et sachez qu'Allah est avec les pieux : ce verset fut descendu lorsque le Prophète, à lui bénédiction et salut et ses compagnons furent ordonnés de mener la bataille de Tabūk». Ceci est aussi rapporté par Ibn Abū Ḥātim dans son Tafsīr 1/1778 et al-Bayhaqī dans ses Sunans, n° 18675.

59. Sourate al-Tawbah, le Repentir, V.123

60. Sourate al-Shu'arā', les Poètes, V.214.

les anéantisse ! Comment s'écartent-ils (de la vérité) *?»*[57]

A cet égard, nous devons attirer l'attention sur deux questions:

Ordonner de combattre la catégorie des gens citée par ses attributs dans ces versets n'est point dû à ce qu'elle ne croit ni en Allah ni en le Jour du Jugement dernier. Sinon il contredit explicitement l'autre versant disant : « *quiconque le veut, qu'il croit, et quiconque le veut qu'il mécroie»* et même tous les versets qui établissent le droit à la croyance, la liberté de conscience et la liberté de pensée et qui sont mentionnés à maintes reprises dans le Coran. Or, ceci est une sorte de futilité qui ne convient pas de tout avec le Coran dont les versets sont parfaits en style et en sens émanant d'un Sage Parfaitement Connaisseur. Dès lors, les qualités par lesquelles les Gens de livres ont été qualifiés dont en tête le fait de ne croire ni en Allah ni en le Jour du Jugement dernier n'est pas le motif de l'ordre du verbe «*qātilū* (Combattez), mais ce sont plutôt des qualités révélatrices pour identifier seulement cette catégorie. La preuve en est que le Coran a établi l'acquittement de la *Jizia* et non pas la conversion à l'Islam pour mettre fin à la guerre. Si le combat a pour objectif de les contraindre à embrasser l'Islam, sera considéré nul l'arrêt de la guerre à l'acquittement de *la jizia* et on n'aurait dû arrêter la guerre que s'ils se convertissent à l'Islam. Or. Le contexte du verset le refuse ; sinon son début va parfaitement à l'encontre de sa fin.

Le verset vise les byzantins qui complotaient contre la nouvelle religion et s'apprêtaient à l'éradiquer. Leurs complots, qu'ils tramaient, étaient la cause de la bataille de Tabūk. Si les musulmans n'avaient pas fait face aux byzantins dans cette bataille, ces derniers auraient pu éradiquer l'Islam et exterminer les musulmans. Le verset concerne en

57. Sourate al- Tawbah, le Repentir, V.29-30

www.alimamaltayeb.com

Concernant le troisième verset, il est un texte évident établissant que la guerre en Islam est étroitement liée à «l'agression» et que les musulmans ne sont pas autorisés à combattre les mécréants tant qu'ils n'attaquent les musulmans ni ne les combattent tout en s'inclinant à la paix. La forme négative à la fin du verset affirme ce sens. Mais si les mécréants ne respectent pas les relations de paix avec les musulmans et ne cessent d'agresser les musulmans, ceux-ci, dans ce cas, n'ont que faire face aux attaques et repousser les agressions par la force légitime. Ce principe est aussi établi dans le quatrième verset.

Bref, la signification de ces versets ne s'éloigne pas de ce que les versets de la sourate *al-Baqara* ont constaté à savoir : la guerre en Islam est défensive et toute agression est interdite.

Il ne reste, enfin, que d'étudier les deux versets de la sourate *al-Tawbah*, le Repentir instrumentalisés par les adversaires de l'Islam en vue de diffuser l'allégation selon laquelle l'Islam a été répandu par l'épée et le Coran a appelé les musulmans à combattre les Gens de livre parmi les juifs et les chrétiens même si ceux-ci ne commencent pas la guerre contre les musulmans.

Le premier verset :

« **Combattez** ***ceux qui ne croient ni en Allah ni Au Jour dernier, qui n'interdisent pas ce qu'Allah et son Messageront interdit et qui ne professent pas la religion de la vérité, Parmi ceux qui ont reçu le Livre, jusqu'à ce qu'ils versent la capitation par leurs propres mains, après s'être humilies. Les Juifs disent : «Uzayr est fils d'Allah» et les Chrétiens disent : «Le Christ est fils d'Allah». Telle est leur parole provenant de leurs bouches. Ils imitent le dire des mécréants avant eux. Qu'Allah***

www.alimamaltayeb.com

un allié, et assigne-nous de Ta part un secoureur».[52]

«Combats donc dans le sentier d'Allah, Tu n'es responsable que de Toi même, et incite les croyants* (au combat) *Allah arrêtera certes la violence des mécréants. Allah est plus redoutable en force et plus sévère en punition». [53]

« **S'ils *restent neutres à votre égard et ne vous combattent point, et qu'ils vous offrent la paix, Alors, Allah ne vous donne pas de chemin contre eux».*** [54]

« ***[…] s'ils ne restent pas neutres à votre égard, ne vous offrent pas la paix et ne retiennent pas leurs mains (de vous combattre), alors saisissez-les et tuez-les où que vous les trouviez. Contre ceux-ci, nous vous avons donné autorité manifeste».***[55]

En effet, le chercheur équitable ne se doute point que ces versets-ci soient pareils à ceux de la sourate *al- Baqara*, la Vache et comportent des preuves évidentes que les musulmans ne recourent à la guerre qu'en cas de la nécessité de la défense légitime.

Dans le premier verset, les musulmans y recourent pour défendre les faibles musulmans qui avaient embrassé l'Islam à la Mecque et que les polythéistes les ont détenus à la Mecque et les ont empêchés d'émigrer vers Médine. «Ils étaient alors obligés de rester humiliés, faibles et persécutés»[56]

Quant au deuxième verset, il incite les musulmans à combattre pour arrêter la violence, la tyrannie et l'oppression des polythéistes contre les musulmans. C'est ce qui indique explicitement la partie du verset : « *Allah arrêtera certes la violence des mécréants»*.

---

52. Sourate al-Nisā', les Femmes, V.75.
53. Sourate al-Nisā', les Femmes, V.84.
54. Sourate al-Nisā', les Femmes, V.90
55. Sourate al-Nisā', les Femmes, V.91.
56. Al- Kashshāf annoté par al-Ṭībī 5/65

www.alimamaltayeb.com

est clair ?! Les versets qui prêtent à plusieurs interprétations pourraient-ils abroger ceux dont la signification est évidente et indiscutables. En plus, la question de «l'abrogation, *naskh*,»est même à discuter surtout en ce qui concerne le concept même du *naskh* et sa signification.

Nous devrions signaler que les cinq versets susmentionnés de la sourate *al-Baqara* représentent les fondements de la constitution de la guerre en Islam. C'est la source à laquelle doivent être renvoyés tous les autres versets du combat qui varient selon le contexte et les circonstances de la révélation. Un chercheur méticuleux pourrait découvrir que les autres versets, qui incitent à faire le *Jihād*, sont gérés par les mêmes principes inclus dans les versets de la Sourate *al-Baqara*, la Vache, à savoir:

- Le combat n'a d'autre objectif et motif que le sentier d'Allah
- Il est limité à ceux qui commencent à agresser les musulmans.
- Les musulmans ne doivent agresser les autres au début de la guerre ni durant son déroulement.
- Les musulmans doivent se précipiter pour s'incliner à la paix si l'ennemi, lui aussi, s'y incline.
- On pourrait y ajouter d'autres principes humains nobles en matière du comportement envers les ennemis en guerre et en paix.
- A ce propos, nous citons aussi les versets du combat mentionnés dans la Sourate *al- Nisā'*, les Femmes, qui sont les suivants :

« et *qu'avez vous à ne pas combattre dans le sentier d'Allah, et pour la cause des faibles : hommes, femmes et enfants qui disent : «Seigneur ! Fais-nous sortir de cette cité dont les gens sont injustes, et assigne-nous de Ta part*

www.alimamaltayeb.com

détracteurs du Coran fait délibérément des confusions et des perturbations sur ces versets évidents. Pour ce faire, ils ont enlevé, par exemple, le second verset : « *et tuez-les, où que vous les rencontriez ; et chassez-les d'où ils vous ont chassés […]*»[51] du contexte général des cinq versets. Ils séparent aussi le pronom de sa référence «*allazīn yuqātilūnkum* (ceux qui vous combattent)» pour déformer le sens et le transformer en ordre catégorique commandant musulmans de tuer les autres où qu'ils les trouvent.

Ce n'est pas bizarre de voir des adversaires d'énoncer de telles allégations, car c'est la méthode qu'ils ont adoptée et la mission à laquelle ils ont consacré toute leur vie. Ce qui est effectivement anormal, c'est de voir des musulmans qui croient au Coran, y compris des oulémas traditionnels autrefois et aujourd'hui, adopter, eux aussi, une méthode qui croise avec celle des adversaires du Coran. Ils se mettent alors d'accord sur l'objectif et la finalité. Ils reconnaissent que l'ensemble des versets prouvent effectivement le combat défensif et non pas celui offensif, mais ils s'attachent à l'opinion optant pour l'abrogation, *naskh* en estimant que «*le verset dit de l'épée*» a abrogé la sentence des verstes déjà mentionnés. En effet, le mot «épée, *sayf*», n'est point cité dans le Coran ni au singulier ni au pluriel : il ne fait partie ni du vocabulaire coranique ni de ses mots ni de ses termes.

Vous serez tellement étonnant si vous posez à ceux-ci la question sur «*le verset dit de l'épée*» : quel est ce verset ? Dans quelle sourate est-il mentionné ? Leur divergence à ce propos doit vous faire entrer dans un labyrinthe. Comment donc un seul verset, qu'on ne pourrait ni identifier ni préciser, pourrait abroger des versets indiscutables, *muḥkamāt*, dont le sens

51. Sourate al-Baqara, la Vache, V. 191.

www.alimamaltayeb.com

Y ajoutons le verset qui ordonne aux musulmans de combattre : Allah, le Très Haut, dit : « **Combattez *dans le sentier d'Allah ceux qui vous combattent, et ne transgressez pas. Certes. Allah n'aime pas les transgresseurs ! Et tuez-les, où que vous les rencontriez ; et chassez-les d'où ils vous ont chassés : l'association est plus grave que le meurtre. Mais ne les Combattez pas près de la Mosquée sacrée avant qu'ils ne vous y aient combattus. S'ils vous y combattent, tuez-les donc. Telle est la rétribution des mécréants. S'ils cessent, Allah est, Certes, Pardonneur et Miséricordieux. Et combattez-les jusqu'à ce qu'il n'y ait plus d'association et que la religion soit entièrement à Allah seul. S'ils cessent, donc plus d'hostilités, sauf contre les injustes. Le mois sacré pour le mois sacré ! - le talion s'applique à toutes choses sacrées. Donc, quiconque transgresse contre vous, transgressez contre Lui, à transgression égale. Et craignez Allah. Et sachez qu'Allah est avec les pieux».*** [50]. Il est à souligner que tous les pronoms cités dans les verbes ordonnant de tuer ou de combattre : « *qatilū* (combattez), *uqtulūhum* (tuez-les), *faqtulūhum*, (tuez-les donc) *wa qatilūhum* (Et combattez- les)»se réfèrent tous à la locution *«allazīn yuqatilūnakum* (ceux qui vous combattent» mentionnée au début du verset et en dépendent intrinsèquement. Les versets sont donc multiples et indiscutables et indiquent que la guerre en Islam est défensive et non offensive soit en ce qui concerne la *Da'wa* (l'appel à la religion d'Allah) ou les relations internationales entre les musulmans et les non musulmans.

Malgré l'évidence de la signification coranique indiquant que l'ordre répété de combattre ou de tuer dans ces versets vise les ennemis qui déclarent la guerre contre les musulmans, les

50. Sourate al- Baqara, la Vache, V. 190- 194.

www.alimamaltayeb.com

les chrétiens, déteste (d'embrasser) l'Islam ne sera jamais (forcé) à abandonner sa religion»[48]. Ce hadith suffit pour réfuter les allégations de ceux qui attaquent l'Islam ou celles de certains musulmans qui ne cessent de déformer leur religion par de fausses interprétations. Ceux-ci insistent sur des erreurs prétendant que la mécréance est le motif de la guerre et non pas l'agression et que les musulmans doivent combattre les non musulmans et les pourchassent où ils se trouvent en vue de les faire entrer en Islam ou de les faire payer *la Jizia* .

Quant au Coran, nous avons déjà cité le premier verset autorisant aux musulmans de combattre après avoir été empêchés de le faire tout le long de la période mecquoise : ***«Autorisation est donnée à ceux qui sont attaqués (de se défendre) - parce que vraiment ils sont lésés ; et Allah est certes capable de les secourir».***[49] Ce verset indique que la guerre légitime en Islam est celle qui fait face à l'injustice, défend les droits de la patrie et de la citoyenneté, protège la liberté de croyance et celle de la pratique des cultes et ainsi de suite….

48. Rapporté par 'Abd al-Rāziq dans son Muṣannaf, n°10100 et Ibn Ḥazm, par la même chaîne de transmission, dans al- Muḥallá 5/ 416 d'après Ibn Jurayj. Ce hadith est aussi rapporté par Abū 'Ubayd dans al-Amwāl (les Biens), 53, 66 d'après 'Urwa Ibn al-Zubayr. Il l'a aussi rapporté d'après lui et d'après Ibn Zanjawayh dans al-Amwāl (les Biens), n°109 d'après al-Ḥakam Ibn 'Utaybah. Il est également rapporté par al-Ṭabarī dans sa Chronique 3/120-121 d'après 'Abd Allāh Ibn Abū Bakr Ibn 'Amrū Ibn Ḥazm, Abū Nu'aym dans Ma'rifa al- Ṣaḥabah (Savoir les compagnons) 3/ 1233, al- Bayhaqī dans ses Sunans al-Kubrá, n° 18711 d'après Zur'a Ibn Sayf Ibn Zī Yazan. Toutes ces versions sont relâchées, mursal.

49. Sourate Al Hadjj, le Pèlerinage, V.39.

www.alimamaltayeb.com

la méthode que le Coran a tracée dans ses versets suivants :

«et s'ils inclinent à la paix, incline vers celle-ci (toi aussi) et place Ta confiance en Allah, car C'est Lui l'Audient, l'Omniscient». [44]

« ***[…] tant qu'ils sont droits envers vous, soyez droits envers eux. car Allah aime les pieux».*** [45]

« ***[…] s'ils restent neutres à votre égard et ne vous combattent point, et qu'ils vous offrent la paix, Alors, Allah ne vous donne pas de chemin contre eux».*** [46] et d'autres vestes encore.

La preuve la plus évidente affirmant que les musulmans étaient pacifiques avec ceux qui l'étaient envers eux est qu'ils n'ont pas combattu l'Abyssinie chrétienne qui était très proche de la Péninsule arabe. Le Prophète, à lui bénédiction et salut, leur disait toujours : «*n'attaquez pas les Abyssins tant qu'ils ne vous attaquent pas* «. [47] Or, si la guerre en Islam avait pour objectif de forcer les non musulmans à embrasser l'Islam, l'Abyssinie aurait dû être le premier pays à conquérir pour accomplir cette tâche. Au contraire, le Prophète, à lui bénédiction et salut, entretenait toujours de bonnes relations distinguées avec l'Abyssinie, des relations pleines d'affection et de tolérance que l'Histoire a bien inscrites.

Nous ne cessons de répéter le hadith déjà mentionné où le Prophète, à lui bénédiction et salut, dit dans sa lettre adressée au peuple du Yémen : *«celui qui, parmi les juifs et*

---

44. Sourate al-Anfāl, les Butins, V. 61

45. Sourate al-Nisā', les Femmes, V. 90

46. Sourate al-Nisā', les Femmes, V. 90

47. Rapporté par Abū Dawūd dans ses Sunans, n°4309, al-Bayhaqī dans ses sunans, n° 18638, Aḥmad dans son Musnad, n° 7052 , al-Bazzār dans son Musnad , n° 2355, al- Ḥākim dans son Mustadrak, n° 8396 et autres. A son propos, al-Ḥākim dit : c'est un hadith dont la chaîne de transmission est authentique. Al-Dhahabī est d'accord avec lui.

www.alimamaltayeb.com

Les fondements historiques:

L'Histoire montre clairement que les musulmans ont combattu les non musulmans à cause de leur agression et non pas à cause de leur mécréance. Les grandes batailles qu'a menées le Prophète, à lui bénédiction et salut, contre les agresseurs qorayshites et leurs alliés avaient eu lieu soit à la périphérie de Médine, soit à des distances proches. Médine était donc dans un état d'auto-défense et non pas dans un état d'agression.

C'est également le cas de la bataille de Badr, celle de *'Uḥud* et celle d'al-*Khandaq* (le fossé que les musulmans avaient creusé autour de Médine). De même, à la Prise de la Mecque, le Prophète n'a pas déclaré la guerre contre les idolâtres de la Mecque même s'ils avaient déjà oppressé, persécuté et porté atteinte au Prophète et à ses compagnons. Une fois entré victorieux à la Mecque sans combat et versement de sang, il leur a dit : «*Que pensez- vous de ce que je vais faire de vous»; ils répondent : « Le bien car vous êtes un généreux frère, fils d'un frère généreux* «. «*Allez ! Vous êtes libres*»[43], répondit le Prophète. Il leur a pardonné et oublié leurs fautes au moment où il aurait pu, par un signe de main, les exterminer. Mais le Messager d'Allah, qui cherchait d'établir la paix même avec les ennemis, appliqué

43. Rapporté par al-Ṭabarī dans sa Chronique 2/ 61 d'après Qatāda et al-Nasā'ī dans ses Sunans al- Kubrá, n° 11234, al-Bayhaqī dans ses Sunans al-Kubrá, n° 18275 d'après Abou Hurayrah dans la version : « Ô gens de Suraysh! Que dites-vous ?», dit le Prophète. «(Tu es) fils d'un frère et cousin généreux» ; répondirent-ils. Ensuite, le Prophète répéta ce qu'il avait dit et ils donnèrent la même réponse. Alors, le Prophète leur dit : « je vous dis ce qu'avait dit mon frère Joseph (à ses frères) : «Pas de récrimination contre vous aujourd'hui ! Qu'Allah vous pardonne. C'est Lui Le plus Miséricordieux des miséricordieux» (sourate Yūsuf, Joseph, V. 92). L'original de ce hadith se trouve chez Muslim dans son Ṣaḥiḥ n° 1780.

www.alimamaltayeb.com

Les fondements rationnels:

Les oulémas se mettent d’accord sur le fait d’interdire de tuer le vieillard, le petit enfant et la femme dans le champ de bataille, une interdiction confirmée par le hadith : « *Ne tuez pas un vieil homme, ou un jeune enfant en bas âge ou une femme…*»[42]

On commence alors par présenter l’argumentation rationnelle concernant une question conditionnée : si le motif de la guerre était la mécréance, le fait d’interdire de tuer les catégories mentionnées dans le hadith n’aurait pas de sens et les musulmans sauraient dû les tuer tout comme les autres non musulmans. Les excepter d’être tués indiquent clairement que la mécréance n’est pas de tout le motif de guerre et que la raison primordiale en est, nous le répétons, «***l’agression***». On n’imagine point que ces catégories faibles puissent porter des armes, agresser les Musulmans ou leur porter atteinte. Or, elles sont loin d’être qualifiées d’agresseurs et la cause de la guerre n’a pas lieu. Sur ce, ils prennent la même sentence des non musulmans pacifiques. Le Prophète nous a interdit de les tuer, car ils ne sont pas agresseurs. Conclusion : le motif de la guerre est de repousser l’agression et non pas la mécréance.

42. Rapporté par Abū Dawūd dans ses Sunans, N°2614 et Ibn Abū Shayba dans son Muṣanaf, n°33118 d’après Anas Ibn Malik qu’Allah l’agrée.
Il est aussi rapporté par al-Bukhārī dans son Ṣaḥiḥ n° 2015, Muslim dans son Ṣaḥiḥ n° 1744 d’après Ibn ‘Umar qui dit: « une femme fut retrouvée assassinée dans l’une des campagnes militaires du Messagerd’Allah. Alors, le Messagerd’Allah prohiba de tuer les femmes et les enfants».
D’ailleurs, al-Bayhaqī rapporté dans ses Sunans, n° 18203 que lorsqu’ Abū Bakr qu’Allah l’agrée, expédia Yazīd Ibn Abū Suffiān en Grande Syrie, al-Shām, il lui recommanda ce qui suit :: Ne tuez pas un enfant ni une femme, ni un vieillard, ni un malade, ni un moine. Ne coupez pas un arbre fruitier .Ne détruisez pas les maisons. N’égorgez ni les moutons, ni les chameaux sauf pour en manger. N’inondez les dattiers ni ne les brûlez».

autres ! Comment édicter une loi qui garantit la liberté de conscience au même moment où il donne une autre qui l›interdit et impose une autre croyance et en plus recourt à la guerre en vue de le réaliser ?! A Dieu ne plaise ! Comment le Coran pourrait-t-il être ainsi alors que ses ennemis cherchent incessamment ses défauts sans rien y trouver de contradictoire ?

Or, tant que les incroyants ou les adeptes d'une religion divine ou positiviste, voire même les athées sont pacifiques envers les musulmans, ne déclarent pas l'animosité, ne complotent pas contre eux derrière les points de garde et les frontières et ne s'allient pas avec les ennemi des musulmans, il n'est pas autorisé alors aux musulmans de les combattre. Ils n'ont que la paix, la justice et la piété en vertu du verset coranique : «*Allah ne vous défend pas d'être bienfaisants et équitables envers ceux qui ne vous ont pas combattus pour la religion et ne vous ont pas chassés de vos demeures. Car Allah aime les équitables».* [41]

La majorité des Ulémas musulmans se mettent d'accord sur ce point et réitèrent toujours dans leurs livres de jurisprudence l'expression la plus courante : « ***le motif de la guerre est l'agression et non pas la mécréance***». Pour établir cette règle, ils ont donné des fondements rationnels, historiques et textuels tirés du Coran et de la Sunna.

41. Sourate al- Mumtaḥanah, l'Eprouvée, V. 8.

www.alimamaltayeb.com

Bref, Reconnaissant la pluralité culturelle et civilisationnelle, confirmant l'interconnaissance et le principe de la liberté de croyance, l'islam ne peut pas renier des évidences qu'il a prêchées et propagées. Il ne peut, non plus, légiférer qu›une guerre juste qui protège les droits des peuples et repousser toute agression.

Les causes de la guerre menée contre les mécréants

Nous avons déjà montré que le premier verset autorisant aux musulmans de combattre en donne les raisons principales : se défendre et repousser les agressions. À l›origine, les motifs sont purement humains. Le Coran en cite les suivants: repousser les injustices, défendre les expatriés forcés qui ont été obligés de quitter derrière eux leurs biens et leurs enfants, protéger les autres religions divines et assurer à ses adeptes la liberté de l'exercice de leurs cultes et leurs rites en leur évitant l'hégémonie de l'idolâtrie et du polythéisme.

Une question cruciale se pose : quels sont les motifs qui rendent légitime le combat des musulmans contre les autres ? Est-ce l'état de l'hostilité ? Ou bien la mécréance qui veut dire qu'ils ont refusé d'embrasser l'Islam ?

En effet, la majorité des oulémas musulmans affirment que «l'agression» des non musulmans contre les pays de l'Islam est le motif principal de la législation du combat en Islam et que la mécréance seule sans agression n'est pas une raison légale qui autorise la guerre. Car il est impossible que le Coran autorise la guerre pour contraindre les non musulmans à se convertir à l'Islam au moment où il établit et reconnaît la liberté de conscience. Si le Coran est ainsi, il devient contradictoire et certains versets font mentir les

Il convient ici de souligner l'Imam al- Rāzī qui estime que l'objectif de les protéger et d'empêcher sa destruction ne se limitait pas seulement à l'époque de la mission de Moïse et de Jésus, à eux le salut, mais il s'étend pour englober l'époque du Messager d'Allah, à lui bénédiction et salut, car le motif est de pousser les musulmans à défendre ces lieux afin de pas être détruits étant donné où *«on invoque Allah. Ils ne sont pas de tout comme les lieux où les idoles ont été adorés.*»[39]

En autorisant le combat pour défendre les lieux de culte, le verset ne vise pas seulement les mosquées, mais aussi les lieux de cultes propres aux autres[40]

De même, le début du verset» *Autorisation est donnée à ceux qui ont été combattus*» est explicite. Il autorise de combattre ceux qui combattent les musulmans et mènent des agressions contre eux. Il s'agit un combat autorisé pour se défendre et non pas pour agresser les non musulmans. C'est ce qu'indique la forme passive du verbe «*yuqātalūn*a (ont été combattus) dans le verset. Le sens du verset est donc : est autorisé aux croyants qui ont été déjà combattus - et sont encore combattus- qui ont subi les injustices et ont été chassés de leurs demeures de se défendre et de défendre leurs vies, leurs biens et leurs honneurs après avoir été empêché de combattre pour treize ans ou plus.

---

39. Tafsīr al- Kabīr d'al-Rāzī 12/41

40. Al-Jihād Ṭrīq al-naṣr (le Jihād, chemin de la victoire), de 'Abd Allāh Ghūsha, Actes de Colloque de la quatrième Conférence de l'Académie des recherches Islamiques de l'Azhar, p. 190.

www.alimamaltayeb.com

Imaginez-vous une religion qui incite ses adeptes à combattre en vue d'assurer la survivance des autres religions ?! Dans le même ordre d'idées, nous comprenons ce qu'al-Ḍaḥḥāk a rapporté d'après Ibn ʻAbbās en expliquant ce verset : « *l'Islam et les musulmans ont été poussés à défendre les gens de livres*»[37] . Y a-t-il une religion autre que l'Islam dont les adeptes défendent les autres religions et assurent à leurs adeptes la pratique de leurs cultes ? Rassembler toutes les religions célestes dans ce verset a attiré l'attention des exégètes et a excité leur étonnement. Ils se demandent pourquoi les ermitages, les synagogues et les églises[38] sont incluses dans l'ordre du jour du *jihād* musulman qui prend en charge de les défendre. Leur réponse était la suivante : ces lieux de culte sont réservés aux croyants même s'ils s'expriment différemment.

---

37. al-Tafsīr al-Kabīr d'al-Rāzī 12/41, al-Lubāb fi ulūm al-Kitāb(la Moelle dans les sciences du Livre) 14/105 et Gharā'ib al- tafsīr d'al-Naysāburī 5/83

38. Al-Bukhārī, dans son Ṣaḥīḥ, 2/69 dans le chapitre concernant le Jihād une section intitulée « Yuqatalu ʻan 'ahl al-dhmma walā yustaraqqūn (mener la guerre pour protéger les gens protégés par les Musulmans, ahl al-Dhimma, sans les réduire en esclavage)». Il y a rapporté une tradition d'après ʻUmar, qu'Allah l'agrée, n° 3052 : « ….je leur recommande de respecter le pacte de protection accordé par Allah et son Messageraux non-Musulmans, d'observer les engagements pris envers eux, de combattre pour les défendre et de ne pas les charger de ce qui est au dessus de leur capacité» ? De même, al-Bazzār a rapporté dans son Musnad, n°158 d›après ʻĀʻisha, qu›Allah l›agrée, que « le Prophète, à lui bénédiction et salut, ne combattait (pour défendre) des polythéistes sauf pour les gens de la dhimma».
Al-Ṣawāmiʻ pluriel de Ṣawmaʻa désignent les lieux où les religieux chrétiens font leurs actes d›adoration. Al-Biyaʻ pluriel de Bayʻa désignent les lieux de culte des chrétiens en général. Al-Ṣalawāt sont les lieux de culte propres aux juifs. Quant aux Mosquées, elles sont considérées comme les lieux de cultes pour les Musulmans. Voir al- Kashshaf d'al-Zamakhsharī annoté par al-Ṭīibī 10/ 494.

www.alimamaltayeb.com

Dans ce verset, Allah a autorisé le combat après l'avoir interdit dans plus de soixante-dix versets : persécutés et torturés durant l'époque mecquoise, les compagnons du Prophète venaient lui porter plainte. Mais le Prophète, à lui bénédiction et salut, leur disait : «*Patientez-vous ! Je ne suis pas autoriser à combattre.»* Une fois arrivé à Médine après l'Hégire, Allah lui a révélé ce verset[36]

A la lumière de ce verset, il devient précisément claire que la première raison de la législation de mener un combat est de soutenir les opprimés, de repousser les injustices qu'ils ont subies et de leur assurer une vie sûre comme les autres, une revendication qu'une raison saine ne pourrait jamais ni refuser ni nier ni se douter un jour de sa légitimité.

De plus, la guerre, dans ce texte divin, n'est uniquement légiférée en vue de défendre l'Islam, mais elle est également autorisée pour défendre les autres religions divines contre l'agression du paganisme, du polythéisme et des polythéistes.

Tout chercheur neutre, quelle que soit sa religion ou confession, devrait s'étonner en lisant le verset susmentionné. Il en déduit alors la vérité suivante : le combat en Islam n'est pas seulement légiféré pour assurer la pratique des cultes de l'Islam, mais il l'est aussi pour garantir la pratique des cultes des autres religions divines et même les protéger contre la tyrannie du paganisme et l'oppression du polythéisme et des polythéistes.

36. CF. Tafsir de 'Abd al-Rāziq al-Ṣan'ānī 2/34 ; Jāmi' al- Bayān d'al-Ṭabarī 18/642, Tafsir d'Abū Muẓaffar al- Sam'ānī 3/416, al- Kashshāf d'al-Zamakhsharī 3/161, al- Tafsīr al- Kabīr d'al-Rāzī 12/40 et Tafsir d'Ibn Kathīr 5/433.

www.alimamaltayeb.com

a-t-il fait de même dans plusieurs hadiths qui montrent les mérites du jihād et incitent à y participer ? Comment dire qu'Allah a créé les humains et en a fait des peuples et tribus pour qu'ils s'entre-connaissent et en même temps on appelle à la guerre et au combat ?

La conclusion à laquelle nous devons aboutir après une profonde réflexion sur l'ensemble des versets relatifs au sujet de la guerre est la suivante : la guerre en Islam est une exception ou une nécessité à laquelle on recourt dans des circonstances particulières et dans des conditions où il n'y aura d'autre issue. La guerre en elle-même est une mesure à prendre pour protéger le principe de «*l'interconnaissance*», le soutenir et et la confirmation de la paix entre les humains.

Cette réponse abrégée a besoin d'être soutenue par des preuves et des détails.

Les preuves

Tout d'abord, pour établir le fondement, la guerre en Islam n'est légiférée que pour se défendre et non pour mener une offensive. Pour en donner plus de détails, soulignons le premier des versets évoquant le *Qitāl*, le combat, est : « *Autorisation est donnée à ceux qui sont attaqués (de se défendre) - parce que vraiment ils sont lésés ; et Allah est certes capable de les secourir*. « *ceux qui ont été expulsés de leurs demeures, - contre toute justice, simplement parce qu'ils disaient : «Allah est Notre Seigneur›. - Si Allah ne repoussait pas les gens les uns par les autres, les ermitages seraient démolis, Ainsi que les églises, les synagogues et les mosquées où le nom d'Allah est beaucoup invoqué. Allah soutient, Certes, ceux qui soutiennent (sa religion). Allah est assurément fort et Puissant»* [35]

35. Sourate Al Hadj, le Pèlerinage, V. 39- 40.

www.alimamaltayeb.com

En effet, dans un système social basé sur des principes déduits des textes divins sacrés affirmant la nature de la différence entre les humains, la nécessité de l'interconnaissance et le droit à la liberté de croyance, on ne pourrait jamais mettre tous les humains dans une seule moule en matière de pensée, de croyance et de comportement. La guerre n'y sera point considérée comme une solution pour les conflits entre nations et peuples, car c'est l'interconnaissance et non pas l'antipathie qui sera la loi qu'Allah a établie pour gérer les relations humaines même s'ils appartiennent à des contrées lointaines ou à de diverses ethnies, croyances et civilisations.

Il paraît donc évident que l'Islam, à travers les versets du Coran et les textes de la sunna du Prophète, n'approuve pas le principe de «la guerre» en matière de l'appel à la religion, au contraire, il l'exclut catégoriquement. Il ne force pas les gens à l'adopter. Il n'impose pas sa culture aux autres. Mais celle-ci entre en contact avec les cultures et les civilisations auxquelles les gens se sont habitués et accoutumés. En un mot, le Coran précise que les relations entre les humains sont essentiellement basées sur l'interconnaissance. Celle-ci est le résultat logique de la diversité et du droit à la liberté de conscience.

Les motifs de la guerre en Islam :

Si nous avons déjà constaté que l'interconnaissance est une finalité divine pour laquelle Allah a créé les humains et en a fait des peuples et tribus, une question se pose alors : pourquoi donc la guerre ? Pour quelles raisons le Coran a-t-il établi la légitimité de la guerre et l'a ordonné dans plusieurs versets ? Et pourquoi le Prophète, à lui bénédiction et salut,

www.alimamaltayeb.com

Dans la lettre adressée de la part du Prophète, à lui bénédiction et salut, aux gens du Yémen, il a écrit : « *celui qui, parmi les juifs et les chrétiens, déteste* (d'embrasser) *l'Islam ne sera jamais (forcé) à abandonner sa religion»* [33]

D'ailleurs, le Coran considère le fait de contraindre quelqu'un à changer de religion ou de le séduire par l'argent, le pouvoir ou la gloire comme une sédition plus grave que le meurtre. Car contraindre est une atteinte à la raison et à l'âme et une confiscation du droit à la liberté et à la croyance. Ce droit fait certes partie de la nature primordiale qu'Allah a originalement donnée à l'Homme. Y ajoutons que porter atteinte à la croyance de l'Homme est plus grave que l'agression perpétrée contre l'âme et le corps dans la mesure où se sentir humilié en cas de l'atteinte à la croyance est plus pénible et écrasante que celle commise contre l'âme. A ce propos, on demanda à un sage : «quelle est la situation qui est plus dure que la mort ? «Celle où l'on souhaite la mort», répondit-il.[34]

33. Rapporté par 'Abd al-Rāziq dans son Muṣannaf, n°10100 et Ibn Ḥazm, par la même chaîne de transmission, dans al- Muḥallá 5/ 416 d'après Ibn Jurayj qui dit : « dans le lettre adressée par le Prophète , à lui bénédiction et salut, aux gens du Yémen, il se trouve ce qui suit :……..». Ce hadith est aussi rapporté par Abū 'Ubayd dans al-Amwāl (les Biens), 53, 66 d'après 'Urwa Ibn al-Zubayr dans la version suivante :» le Prophète , à lui bénédiction et salut, écrivit aux gens du Yémen : « celui qui est juif et chrétien ne sera jamais (forcé) à abandonner sa religion……»Il l'a aussi rapporté d'après lui et d'après Ibn Zanjawayh dans al-Amwāl (les Biens), n°109 d'après al-Ḥakam Ibn 'Utaybah. Il est également rapporté par al-Ṭabarī dans sa Chronique 3/120-121 d'après 'Abd Allāh Ibn Abū Bakr Ibn 'Amrū Ibn Ḥazm, Abū Nu'aym dans Ma'rifa al- Ṣaḥabah (Savoir les compagnons) 3/ 1233, al- Bayhaqī dans ses Sunans al-Kubrá, n° 18711 d'après Zur'a Ibn Sayf Ibn Zī Yazan. Toutes ces versions sont relâchées, mursal.

34. CF al- Kashshaf d'al-Zamakhsharī annoté par al-Ṭībī 3/ 263.

www.alimamaltayeb.com

La preuve en est cet exemple d'un compagnon anṣarite qui voulait contraindre ses deux fils à embrasser l'Islam. Le Prophète, à lui bénédiction et salut, le lui interdit catégoriquement[31]. Et lorsqu'une vieille femme non musulmane est venue demander certains besoins à 'Umar, qu'Allah l'agrée, ce dernier l'a appelé à embrasser l'Islam. Alors, elle a refusé. 'Umar craignit que son acte ait pu être considéré comme une contrainte. Il s'est adressé immédiatement au Seigneur en l'invoquant ainsi : Ô Seigneur ! Je ne voudrais jamais la contraindre (à embrasser l'Islam).[32]

31. Rapporté par al-Ṭabarī dans son exégèse 4/548 d'après Ibn 'Ababs en commentant le verset coranique : « Nulle contrainte en matière de religion» (Sourate al-Baqara, la Vache, V.256). à ce propos, Ibn 'Abbas, il dit :» ce verset fut révélé au sujet d'un Anṣarite faisant partie de la tribu des Banū Sālim Ibn 'Awf appelé al-Ḥuṣayn. Alors qu'il était musulman, ses deux fils étaient de confession chrétienne. Il dit au Prophète : puis-je les forcer (à se convertir à l'Islam), car ils ont refusé d'abandonner le christianisme ? C'est ainsi que Allah a fait descendre ce verset». Voir aussi al-'Iṣāba, 2/575pour la biographie de Ḥuṣayn al-'Anṣārī, qu'Allah l'agrée.
Dans ce sens, voir ce qu'a rapporté Abū Dawūd dans ses Sunans, Hadith n°2682, al- Nasā'ī dans ses Sunans, hadith n°10982, al- Bayhaqī dans ses Sunans al-Kubrá, hadith, n° 18639 et Ibn Ḥabbān dans son Ṣaḥiḥ, n° 140 d'après Ibn 'Abbās, qu'Allah l'agrée.
32. Al-'ilāqāt al- Duwaliyyah fi al-'islām (les Relations internationales en Islam) du cheikh Muḥammad Abū Zahra, P.30.

www.alimamaltayeb.com

« *[…] Tu n'as pas pour mission d'exercer sur eux une contrainte. rappelle donc, par le Coran celui qui craint Ma menace.*»[29]

« *S'ils se détournent,... nous ne t'avons pas envoyé pour assurer leur sauvegarde : Tu n'es chargé que de transmettre* [le message]. *[…]*»[30]

Ainsi, on ne trouve pas dans la structure de la foi musulmane aucun mécanisme invitant à imposer aux gens des croyances, même s'il s'agit de l'Islam lui-même. L'Islam dénonce le fait d'imposer une religion contre le pouvoir ou de l'argent. La philosophie de l'Islam interdit de commercialiser la foi et d'exploiter les gens qui sont dans le besoin. L'Islam interdit, aussi, d'imposer la religion par la force ou la tentation de l'argent. Car ces pratiques ne mènent ni à la voie de la croyance, ni à celle de la foi mais plutôt à celle de l'hypocrisie et du mensonge.

En procédant ainsi, le Coran part d'une logique particulière : les croyances sont des actes de cœur et les cœurs ne seront jamais soumis ni à la contrainte, ni à la force, ni à l'obligation. Il est absolument vain de croire qu'on puisse imposer une croyance ou une religion à un cœur.

29. Sourate Qāf, V.45.
30. Sourate al- Shūrá, la Délibération, V.48

www.alimamaltayeb.com

Ce verset indique clairement que les relations entre les hommes sont gérées par l'interconnaissance, la coopération, la complémentarité et l'influence réciproque. Ceci ne se réalise jamais que dans un climat de paix, de tolérance et le pacifisme loin de toute atmosphère de conflit, de rivalité et tout sentiment de supériorité.

La liberté de conscience

La troisième vérité coranique est le droit à la liberté de conscience qui implique nécessairement l'impossibilité de contraindre un autre à adopter une religion ou une croyance quelconque que ce soit divine ou positiviste en vertu des verstes coraniques suivants:

«*nulle contrainte en religion ! car le bon chemin s'est distingué de l'égarement. [...]*»[25]

« *[...] quiconque le veut, qu'il croit, et quiconque le veut qu'il mécroie› [...]*»[26]

De même, le Prophète, à lui bénédiction et salut, selon le Coran n'est qu'un transmetteur et avertisseur comme le montrent les versets coraniques suivants:

«*Eh bien, rappelle ! Tu n'es qu'un rappeleur, et Tu n'es pas un Dominateur sur eux».*[27]

«*Si Ton Seigneur l'avait voulu, tous ceux qui sont sur la terre auraient cru. Est- ce à Toi de contraindre les gens à devenir croyants ?*»[28]

25. Sourate al- Baqara, la Vache, V.256.
26. Sourate al- Kahf, la Caverne, V.29.
27. Sourate al- Ghashiah, l'Enveloppante, V.21-22.
28. .Sourate Yūnus, Jonas, V.99

www.alimamaltayeb.com

« ***[…] Est- ce à Toi de contraindre les gens à devenir croyants ?*** « [21] et «*[…]* ***et Si Allah voulait, il pourrait les mettre tous sur le chemin droit. Ne sois pas du nombre des ignorants».*** [22] Les gens sont donc divers et différents bien qu'ils appartiennent tous à une seule origine : un seul père et une seule mère. Cette diversité est une règle divine primordiale dans la création de l'homme, de l'animal, de la plante, des objets, de l'univers et de la nature. A ce propos, le verset coranique dit : **« *N'as-tu pas vu que, du ciel, Allah fait descendre l'eau? Puis nous en faisons sortir des fruits de couleurs différentes. Et dans les montagnes, il y a des sillons blancs et rouges, de couleurs différentes, et des roches excessivement noires.*»** [23]

L'inévitabilité de l'interconnaissance

Si la diversité est la loi divine selon laquelle Il a créé les hommes et s'il est par la suite impossible que les gens se mettent d'accord sur une seule question, il ne reste que les relations entre ces humains devraient être basées sur *«l'interconnaissance»* qui veut dire la coopération et l'entrecroisement et non pas l'antipathie, le conflit et le refus. L'interconnaissance est alors la loi de la société humaine alors que ***la taqwá***, la crainte révérencielle d'Allah, est le seul critère de la préférence entre eux comme le montre le verset coranique suivant : «*Ô hommes ! Nous vous avons créés d'un mâle et d'une femelle, et nous avons fait de vous des nations et des Tribus, pour que vous vous entre-connaissiez. Le plus noble d'entre vous, auprès d'Allah, est le plus pieux. Allah est certes Omniscient et Grand- Connaisseur».* [24]

21. Sourate Yūnus, Jonas, V.99.
22. Sourate al- An'ām, les Bétails, V.35.
23. Sourate Fāṭir, le Créateur, V. 27.
24. Sourate al- Ḥujurāt, les Appartements, V.13.

www.alimamaltayeb.com

« ***[…] Si Allah avait voulu, certes il aurait fait de vous tous une seule communauté. […]***»[16]

« ***[…] Si Allah voulait, il aurait dirigé tous les hommes vers le droit chemin. […]***»[17]

« C›est Lui qui vous a créés. Parmi vous [il y a] mécréant et croyant. Allah observe parfaitement ce que vous faites». »[18]

« ***[…] à chacun de vous nous avons assigné une législation et un plan à suivre. […]***»[19]

« ***et Parmi ses signes la création des cieux et de la terre et la variété de vos idiomes et de vos couleurs. il y a en cela des preuves pour les savants».*** [20]

Le contenu de ces versets et celui d'autres encore soulignent la diversité des humains en matière de religion, d'ethnie et de couleur, une diversité qu'on ne peut ni négliger ni oublier. Ils affirment aussi que les tentatives visant à ce que les humains appartiennent à une seule religion ou culture sont toutes vouées à l'échec. De plus, le Noble Coran reproche au Prophète, Muḥammad, à lui bénédiction et salut, de souhaiter que tous les hommes sans exception embrassent la religion d'Allah en montrant l'impossibilité de réaliser un tel souhait dans la mesure où celui-ci va directement à l'encontre de la Volonté divine. Le Coran lui dit alors :»

16. Sourate al- Mā'ida, la Table servie, V.48.
17. Sourate al- Ra'd, le Tonnerre, V.31.
18. Sourate al- Taghābun, la Grande Perte, V.2.
19. Sourate al- Mā'ida, la Table servie, V.48
20. Sourate al- Rūm, les byzantins, V.22.

www.alimamaltayeb.com

Celui qui médite les vestes du Coran découvrira facilement que les relations humaines en Islam sont fondées sur trois vérités explicitement et indiscutablement établies par le Coran à savoir : l'inévitabilité de la différence entre les gens, celle de l'interconnaissance et le principe de la liberté de conscience.

l'inévitabilité de la différence entre les gens (la diversité)

La logique de l'Islam en ce qui concerne la paix sociale au niveau local comme au niveau international est basée sur un postulat confirmé par l'histoire et le fait accompli à tout temps et à tout lieu : l'impossibilité que les humains appartiennent tous à une seule religion, une croyance telle, une langue unique, une seule race ou une seule couleur. Un tel postulat logique est établi par la Coran dans le verset où Allah, le Très Haut, dit :» ***Et Si Ton Seigneur avait voulu, Il aurait fait des gens une seule communauté. Or, ils ne cessent d'être en désaccord.***»[13] Ce verset veut dire que la volonté d'Allah exige qu'Il ait créé les humains différents dans toutes les caractéristiques déjà mentionnées. Cette diversité est une règle cosmique inébranlable et perpétuelle tant que dureront les cieux et les terres. D'autres versets encore ont souligné ce sens, nous en citons:

«*[...]* ***et Si Allah voulait, il pourrait les mettre tous sur le chemin droit. ne sois pas du nombre des ignorants.***»[14]

« *Si Ton Seigneur l'avait voulu, tous ceux qui sont sur la terre auraient cru. Est- ce à Toi de contraindre les gens à devenir croyants ?*»[15]

---

13. Sourate Hūd, V.118.
14. Sourate al- An'ām, les Bétails, V.35.
15. Sourate Yūnus, Jonas, V.99.

homme armé ou Satan ou d'autres ennemis déjà mentionnés. Le terme «jihād « est alors général et porte de multiples significations tout comme le terme «*'adow*», ennemi, qui pourrait désigner plusieurs adversaires. De nouveau, j'insiste sur le fait que le *jihād en* Islam ne se limite pas à se défendre contre un ennemi humain, mais il s'étend pour comprendre tout combat contre un ennemi concret ou abstrait.

Les finalités du Jihād en Islam

Par ailleurs, le *jihād* en Islam est intrinsèquement lié à une fin éthique jamais connue dans une autre législation de guerre ni hier ni aujourd'hui : il est conditionné par «*fī sabīlillāh* (être dans le sentier d›Allah)», une condition stipulée même dans le *jihād* par l'âme ou par les biens dans tous les versets où est mentionné le mot «*jihād* «. L'Islam ne connaît pas les guerres qui adoptent d'autres fins et qui ravagent tout, des guerres qui n'ont d'autres objectifs que la volonté de l'expansion, l'occupation des territoires, la domination des ressources des autres, la démonstration des forces, le trafic d'armes, la possession des forces au détriment des faibles et des opprimés et d'autres motifs qui poussent à mener une guerre dans notre époque moderne et qui ont entaché l'histoire et la conscience de l'humanité

Les relations humaines en Islam

Après avoir précisé le concept du *jihād* et ses différentes significations, nous passons à une autre question étroitement liée au *jihād* au sens du «*combat armé*». C'est celle des relations entres les musulmans et les non musulmans : est-ce une relation de conflit militaire ou d'interconnaissance, de coopération et d'échange d'intérêts ?

www.alimamaltayeb.com

Enfin, ce ne sont pas seulement des recommandations ou des conseils que le musulman pourrait ou non mettre en application selon son désir et sa volonté, mais ce sont aussi et surtout des prescriptions légales ayant pour objectif de lutter contre le véritable ennemi des individus et des collectivités. De cette dégression découlent donc les deux vérités suivantes:

Le premier: L'Islam est une religion qui exhorte le musulman **à déployer un grand effort** pour acquérir le savoir, préserver la santé, assurer la propreté et avoir de la force, à **lutter** contre l'ignorance, la maladie, l'impuissance et la faiblesse en le considérant comme une sorte de *jihād* dans le sentier d'Allah.

Le deuxième : Sont erronées les prétentions de certains intellectuels occidentaux qui estiment que le *jihād* en Islam est strictement limité au fait de porter les armes pour combattre les gens et les contraindre à se convertir à l'Islam. C'est en effet une des pures calomnies et des mensonges historiques provoqués par de mauvaises intentions et des objectifs malveillants. Et même si certains d'entre eux ont la bonne foi et l'intégrité de l'objectif, ils ont commis de telles erreurs, car ils n'ont pas bien saisi les divers contextes où est cité le terme «*jihād* « en se limitant uniquement au contexte jurisprudentiel. Raison pour laquelle, ils n'ont pas compris la notion exhaustive du *«jihād»*.

En parlant donc du «*jihād»*, nous devrions, de prime abord, souligner si ce terme veut dire «se défendre contre l'ennemi», nous devons le comprendre dans le sens le plus large, car le *jihād* pourrait être effectué par les armes, les biens, le Coran, l'argument et les preuves. L'ennemi pourrait également être un

www.alimamaltayeb.com

musulmans de procéder au lavage du corps des décédés, de les purifier, de les ensevelir et de les embaumer du parfum bien qu'ils les portent à la poussière dans leurs tombes.

Si nous citons tous les versets et les hadiths qui appellent et incitent les musulmans à la propreté du Corps, du vêtement et de lieu, il nous faudra des pages et des pages.

D'ailleurs, nous pourrions dire la même chose à propos de la lutte de l'Islam contre la débilité, la faiblesse et la paresse et sa mise en garde contre leurs conséquences néfastes sur la société. Selon l'Islam, Allah aime le croyant fort en vertu du hadith « Le Croyant fort est meilleur et *plus aimé par Allah que le* Croyant faible».[9]**.** De même, le Prophète, à lui bénédiction et salut, invoquait Allah en vue de le protéger contre l'impuissance en disant :» *Ô Allah, je cherche refuge auprès de Toi contre l'impuissance et la paresse* «[10]. Il incitait également les musulmans à la vigueur, au dynamisme et à la persévérance et à la performance tout en demandant aide à Allah et en se remettant à Lui en vertu du hadith : « Demande secours à Allah et ne faiblis pas !».[11] Ce hadith confirme le sens du verset coranique **:»** *[...] Puis une fois que Tu t'es décidé, confie-toi donc à Allah, Allah aime, en vérité, ceux qui Lui font confiance».* [12]

9. Rapporté par Muslim dans son Ṣaḥiḥ, hadith n° 223 d›après Abū Hurayrah, qu›Allah l›agrée. Son texte est : « Le Croyant fort est meilleur et plus aimé par Allah que le Croyant faible».
10. Rapporté par al-Bukhārī dans son Ṣaḥiḥ, hadith n° 2823et Muslim dans son Ṣaḥiḥ, hadith n° 2706 d›après Anas, qu›Allah l›agrée.
11. C'est une partie d'un hadith rapporté par Muslim dans son Ṣaḥīḥ n° 2664 d'après Abū Hurayrah, qu'Allah l'agrée.
12. Sourate Al-'Imrān, la famille de 'Imrān, V.159.

dérivés, sont réellement ou allégoriquement mentionnés des dizaines de fois dans le Coran. Nous en citons **: «** ***Allah atteste, et aussi les Anges et les doués de science, qu'il n'y a point de divinité à part Lui, le Mainteneur de la justice. Point de divinité à part Lui, le Puissant, le Sage !*** **«**[5] **, «** ***[…] Allah élèvera en degrés ceux d'entre vous qui auront cru et ceux qui auront reçu le savoir. Allah est parfaitement Connaisseur de ce que vous faites*****»**[6]

« *[...]* ***Dis : «Sont-ils égaux, ceux qui savent et ceux qui ne savent pas ? «*** *[...]* [7]

Cette répétition ou accentuation sur le thème du savoir ou de la science constitue un combat acharné jamais connu dans un autre livre divin contre l'ignorance et les ignorants et contre le scepticisme et les sceptiques.

Nous pourrions dire la même chose à propos de la lutte de l'Islam contre les maladies et ses causes comme les ordures et les impuretés. Il suffit de faire allusion aux hadiths du Prophète qui font de la propreté et de la purification la moitié de la foi du musulman[8]et savoir que la charia a établi la règle stipulant que «la santé du Corps prévaut celle de la religion» et qu'elle a interdit les aliments et les boissons impures et nuisibles à la santé de l'homme. La science d*'al-maqāṣid*, les finalités de la charia, a alors constaté que «préserver l'âme humaine et la raison est la finalité la plus sublime de la charia». Méditons ensemble comment l'Islam prescrit aux

5. Sourate Āl- 'Imrān, la famille de 'Imrān, V.18.

6. Sourate al-Mujādalah, la Discussion, V.11.

7. Sourate al- Zumar, les Groupes, V.39.

8. A ce sens, Muslim a rapporté dans son Ṣaḥiḥ, un hadith n° 223 d'après Abu Mālik al-Achā'arī où le Prophète, à lui bénédiction et salut, dit : «la purification est la moitié de l'imān, la foi»

sont le Satan qui le guette dans toute embuscade, son *égo* qui lui ordonne les mauvaises actions et lui embellit les chemins menant au mal et aux vanités. Dans ce combat quotidien continu, le musulman n'a d'arme que le fait de déployer sans cesse le maximum d'efforts selon ses potentialités et ses possibilités. Et puisque, dans ce type de *jihād*, personne ne pourrait remplacer d'autres, il est une obligation à caractère individuel pour tout musulman contrairement au» *jihād militaire contre un ennemi* «où les uns pourraient remplacer les autres qui en seront par la suite dispensés et n'assument pas ses conséquences et ses sacrifices.

Le Jihād dans sa conception la plus large:

Le *jihād* à caractère individuel pour tout musulman s'étend pour englober plus d'ennemi : que ce soit celui qui vise l'individu comme l'*égo*, le Satan et la passion ou les autres ennemis qui ciblent la société en vue de la détruire et de la diviser pour la transformer en un marécage de maux et de fléaux tels que la maladie, l'ignorance, la pauvreté, la faiblesse et l'arriération.

Lutter contre ces ennemis n'est pas de tout inférieur, dans la perspective musulmane, à la lutte contre l'ennemi qui menace les frontières. La responsabilité est donc commune entre les individus et les détenteurs du pouvoir, chacun selon sa place dans l'institution tenant le pouvoir et sa responsabilité dans la gestion des affaires de la société.

L'Islam est singulier surtout au sujet de la lutte contre l'ignorance, l'imitation aveugle, les superstitions et les mythes et son appel à la science, à la certitude et à la clairvoyance. C'est ainsi que le terme «*'ilm*, savoir ou science», et ses

www.alimamaltayeb.com

La lutte contre soi-même, *jihad al-nafs*, est supérieure à celle effectuée contre les ennemis extérieurs dans le champ de bataille. C'est effectivement logique car le musulman qui ne réussit pas à vaincre les tentations de son âme ne pourra nécessairement faire face à son ennemi sur le champ de bataille.

A ce propos, nous citons le hadith suivant : «Et le combattant est celui qui fait lutter son âme dans l'obéissance à Allah et l'émigrant est celui qui abandonne les grandes fautes et les péchés «[3] . Et dans un autre hadith : «Le meilleur Jihad est celui que tu mènes contre ton nafs (égo) et ta passion dans la recherche de l'obéissance à Allah»[4]

Situation juridique du Jihād:

Cet écart s'éclaircit précisément lorsque l'on établit une comparaison entre la sentence du «*jihād du combat*» et celui de la «*lutte contre l'égo et le Satan*». Il est évident, selon les regèles de la charia, que le premier, où l'on porte les armes, n'est pas une obligation à caractère individuel pour chaque musulman, *farḍ 'Ayn*; il est tout simplement une obligation collective, *farḍ kifāya :* si les uns ont accompli, les autres en sont dispensés. Quant au second type du *jihād*, celui qui est contre l'égo et le Satan est une obligation à caractère individuel dans toutes les conditions et circonstances, car les ennemis qui s'installent jour et nuit avec le musulman

3. Rapporté par Aḥmed dans son Musnad, hadith n°32958 et Ibn Hibbān dans son Saḥiḥ (chapitre d'al-'iḥsān, la Bienfaisance), n° 4862 d'après Fudāla Ibn 'Ubayd.

4. Rapporté par Abu Nu'aym dans Ḥilyat Al Awliā' (les Ornements des Pieux)» 2/249 d'après Abū Dharr, qu'Allah l'agrée. Voir aussi : 'Abd Allāh Ghūcha: al-Jihād ṭarīq al-naṣr (le djihad, chemin de la victoire) in Actes de la Quatrième Conférence de l'Assemblée de Recherches Islamiques, 1388 de l'Hégire/ 1968 ap. J.-C., P.183

www.alimamaltayeb.com

Le concept du Jihād en Islam

Le terme «guerre» au sens du combat est cité quatre fois dans le Coran tandis que le terme « Jihad» est mentionné trente deux fois.

Il est à noter que le terme «Jihad» ne signifie pas toujours, dans le contexte coranique, le jihad armé. Au contraire, on le trouve très souvent dans beaucoup de versets employé dans un sens très loin du sens militaire.

En effet, le terme «jihad» pourrait d'une part désigner le jihad armé ou la lutte contre l'âme maléfique pour la purifier des instincts l'incitant à faire le mal ou bien la lutte contre la passion et les tentations du Satan.

Selon le Coran, le Jihad signifie le fait de sacrifier l'âme dans le sentier d'Allah, se fait, aussi, en dépensant de l'argent ou en appelant à la religion d'Allah par les arguments et preuves. Il se fait également en se servant des versets du Coran, de ses sagesses, de ses signes acceptés à la fois par le bon sens et la raison. A ce propos, le Coran dit : «***n'obéis donc pas aux infidèles ; et avec ceci (le Coran), lutte contre eux vigoureusement***»[1] . Le mot « Coran» est aussi souligné dans le verset précédent[2].

---

1. Sourate al- Furqān, le Discernement, V. 52

2. Le verset n°50 de la même sourate : « Nous l'avions répartie entre eux afin qu'ils se rappellent (de Nous). Mais la plupart des gens se refusent à tout sauf à être ingrats «.

www.alimamaltayeb.com

Série de Conférences de l'imam



Le concept du Jihād en Islam

Par
Aḥmed Al-Tayyeb
Cheikh de l'Azhar
Et
Chef du Conseil des Sages Musulmans



www.alimamaltayeb.com

Première édition
1438h. / 2017ap. J.-C.
Mashyakhat d'al-Azhar al-Sharīf
Télé : + 25907497/ + 25899823
Fax : +25903974
Cellulaire : 01114242123
E-mail : alazhar1438 @gmail.com
Site : www.azhar.eg

N° de dépôt : 23713/2016.
Tous droits réservés à Mashyakhat d'al-Azhar al-Sharīf
âToute reproduction, photocopie, ou sauvegarde intégrale ou partielle du contenu de ce livre par n'importe quel moyen mécanique ou par n'importe quel procédé de récupération d'information pour n'importe quel objectif sont formellement interdites sans l'autorisation écrite de Mashyakhat al-Azhar.

www.alimamaltayeb.com



Le concept du Jihād en Islam

(Dubai Reward for the Holy Qur’an), 1434 AH/2013 AD.

Al-Hanbali Al-Nu’mani (d. 775 AH). Al-Lubab fi ‘Ulum Al-Kitab. Beirut: Dar Al-Kutub Al-‘ilmiyyah, 1419.

Ibn Hazm Al-Andalisi, Ali Ahmad (d. 456). Al-Muhalla, Edited by Muhammad Shakir (1377 AH). Cairo: Al-Matba’a Al-Muneeriyyah, 1352 (AH).

Al-hākim, Abu Abd Allah Muhammad ibn Abd Allah (d. 405). Al-Mustadrak ʿAla Al-Sahihayn. Edited by a group of researchers. Riyadh: Dar Al-Meeman, 1435 AH (First edition).

Al-Bazzar, Abu Bakr Ahmad ibn Amr ibn Abd Al-Khaliq (d. 292 AH) Al-Musnad, Edited by Mahfouz Abdu Rahman Zayn Allah (d.1418 AH) and others. Medina: Maktabat Al-Ulum Wa Al-Hikam, 1988-2009 AD (First edition).

Ibn Hanbal, Abu Abd Allah Ahmad (d. 241 AH) Al-Musnad, under the supervision of Shuʿayb Al-Arnaʾūt and others. Beirut: Mu’asasat Ar-Risalah, 1421 AH/2001 AD.

As-Sanʿani, Abd Al-Raziq bin Hammam (d. 211 AH). Al-Musannaf, Edited by Habeeb Al-Rahman Al-A’zami (d. 1412 AH). Beirut: Al-Maktab Al-Islami, 1403 AH (Second edition).

AlAsbahāni, Abu Naʿīm (d. 430). Maʿrifat As-Sahabah, Edited by ‘Adil Al-Azzazi. Riyadh: Dar ul-Waţan, 1419 AH (First edition).

Al-Nasaʾī, Abu Abd ur-Rahman Ahmad ibn Shuʿayb (d. 303 AH). As-Sunan Al-Kubra, Under the supervision of Shuʿayb Al-Arnaʾūt. Beirut: Muʾasasat Ar-Risalah, 1421 AH (First edition).

Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad ibn Ismaʿīl. Sahih Al-Bukhari, Edited by Muhib Al-Deen Al-Khateeb and Muhammad Fu'ad Abd Al-Baqi. Al-Matba'ah Al-Salafiyyah, 1400 AH.

Ibn Hibban Al-Basti, Abu Hatim Muhammad (d. 354 AH). Sahih Ibn Hibban Bitarteeb Ibn Balaban, Under the supervision of Shuʿayb Al-Arna'oot. Beirut: Muʿasasat Ar-Risalah, 1414 AH/ 1993 AD.

Muslim ibn Al-Hajjaj, Abu Al-Hasan (261 AH). Sahih Muslaim, Edited by Muhammad Fuʿad Abd Al-Baqi. Beirut: Dar ʾIhyāʿ At-Turath Al-Arabi, (U.D.).

Abu Zahrāʾ, Muhammad. Al-ʿilaqāt Ad-Dawliyyah fi l-Islam. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1415 AH/1995 AD.

An-Naysabouri, Nizam Uddin Al-Hassan ibn Muhammad Al-Qummi (d. 850). Gharaʾib ul-Qur'an wa Raghāʾib ul-Furqān. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'ilmiyyah, 1416 AH.

Kitab ul-Mu'tamar Al-Rabi' li Mammaʿ il-Buhūth Al-Islamiyyah. Cairo: Al-Azhar, 1388 AH/1968 AD.

Al-Zamakhshari Al-Khawarizmi, Abu Al-Qasim Mahmoud ibn Umar (538 AH) Al-Kashshāf 'an Haqāʾiq i-Tanzeel wa 'Uyoun Al-Ta'weel, Edited by Sharaf Ad-Deen At-Tibi (d. 743 AH), Ja'izat Dubay lil Qur'an Al Kareem

ibn Katheer Al-Qurashi Ad-Dimashqi, Abu Al-Fidāʾ Ismaʿīl ibn Umar (d. 774 AH). Tafseer Al-Qur'an Al-ʿAzeem, Edited by Sami Muhammad Salama. Riyadh: Dar Teeba lil nashr wa Al-Tawzee', 1420 AH (1999 AD) (Second edition).

Al-Sanaʿany, Abd ur-Raziq ibn Hammam (d. 211 Ah). Tafseer Al-Qur'an. Edited by Moustafa Musallam. Riyadh: Maktabat Al-Rushd, 1410 AH.

As-Sam'ani, Abu Al-Muzaffar Mansour ibn Muhammad (d. 489 AH). Tafseer Al-Qur'an, Edited by Yasir ibn Ibrahim and Ghuneem ibn Abbas. Riyadh: Dar Al-Watan, 14018 AH (1997 AD).

Ar-Razy, Fakhr Ad-Deen Muhammad ibn Umar (d. 606 AH), At-Tafseer Al-Kabeer: Mafatih Al-Ghayb. Beirut: Dar Al-Fikr, 1401 AH.

At-Tabari, Abu Jaʿfar Muhammad ibn Jareer (d. 310 AH). Jami' ul-Bayān fi Taʾweel Al-Qur'an. Edited by Ahmad Shakir and Mahmoud Shakir. Beirut: Mu'sasat Al-Risalah, 1420 AH (1997 AD), New edition.

Ghushah, Abdullah (d. 1397 AH/1997 AD). "Al-Jihad Tareeq ul-Nasr." In Kitab ul-Mu'tamar Ar-Rabi' li Majmaʿ Al-Buhūth Al-Islamiyyah. Cairo: Al-Azhar, 1388 AH/1968 AD.

Al-Asbahāni, Abu Naʿeem (d. 430 AH). Hilyat Al-Awliyaa'. Egypt: Matbaʿat As-Sa'ada, 1394 AH/ 1974 AD.

Al-Bayhaqi, Abu Bakr Ahmad ibn Al-Husayn (d. 458). As-Sunan Al-Kubra. Hyderabad, India: Majlis Daiʾrat Al-Maʿārif An-Nizamiyyah, 1344 AH.

Bibliography

Shaltoot, Mahmoud (d. 1383 AH). Al-Islam wa Al-ʿilaqāt Ad-dawliyya fi Silm wa l-harb (Islam and International Relations During Peace and War). Cairo: Matba'at Al-Azhar, (U.D.).

Al-ʿAsqalāni, Inn Hajar, (d. 852 AH). Al-Isabah fi Tamyeez As-Sahabah. Cairo: Dar Hajr, 1429 AH (First edition).

Abu Ubayd, Al Qasim ibn Sallam (d. 224 AH). Kitab Al-Amwāl (The Book of Revenue), Edited by Muhammad Khaleel Harras, (d. 1395 AH). Cairo: Maktabat Al-Kulliyat Al-Azhariyyah, 1401 AH.

Ibn Zangaweeh, Hameed bin Mukhlad, (d. 251 AH). Al-Amwāl (The Revnue), Edited by Shakir Zeeb Fayyađ. KSA: King Faisal Center for Research and Islamic Studies, 1406 AH (First edition).

At-Tabari, Ibn Jareer (d. 310 AH). Tareekh Ar-Rusul wa Al-Mulūk (History of Messengers and Kings). Beirut: Dar Al- Turath, 1387 AH (Second edition).

Abu Muhammad Ar-Razi, Abd Al-Rahman ibn Muhammad ibn Idrees ibn Abu Hatim (d. 327 AH). Tafseer Al-Qur'an Al-ʿAzeem, Edited by Asʿad Muhammad At-Tayyib. KSA: Maktabat Nizar Moustafa Al-Baz, 1419 AH (Third edition).

When the Qur'an commands fighting, it elevates it above greediness and humiliation of the weak and makes it a means of paving the way to peace, tranquility, justice and equality.15

The most comprehensive evidence for the inherent principle of Islam regarding the relation between Muslims and the others, whoever this other might be, is the Qur'anic principle stated in the following verse that reads, "Allah does not forbid you from dealing kindly and fairly with those who have neither fought nor driven you out of your homes. Surely, Allah loves those who are fair. Allah only forbids you from befriending those who have fought you due to your faith, driven you out of your homes, or supported others in doing so. And whoever takes them as friends, then it is they who are true wrongdoers." (Qur'an, 60: 8-9)

In a nutshell, this is Islam's philosophy of fighting. We hope that this would be sufficient for everyone to discover peace in this pure religion. However, there remain many topics regarding moral issues that precede, accompany and follow fighting. All of them are unique to Islam, with nothing equal in other religions, civilized systems, or international treaties.

I hope that there will be enough time for me to author another book about Islam's moral principles of war. It would tackle the issue through comparison between Islam and the values of the new and contemporary terrorism so that it becomes clear that Islam has nothing to do with aggression against people even when the latter is masked in the mantle of religion.

15. Mahmoud Shaltout, Al-Islam wa al-ilaqat al-dawliyya fi al-silm wa al-harb (Islam and International Relations During Peace and War), P. 37, 38.

www.alimamaltayeb.com

This verse resembles another verse that tackles the issue of prioritizing daʿwa (inviting people to believe in Allah), starting with the relatives. The verse reads, “And warn your closest relatives”. (Qur’an, 26: 214) No one can conclude from this verse that daʿwa is restricted to the relatives because there are dozens of other verses that convey that daʿwa is for all humankind. All uses of words like “all” and “every” and other generalization words are there to confirm this meaning. It is enough here to mention the verse that reads, “We have sent you (O Prophet) only as a mercy for the whole world.” (Qur’an, 21:107) Despite all this clear evidence, we find some people who literally interpret the verse that reads, “And warn your closest relatives” (Qur’an, 26:214) to declare that Islam is a local religion and is restricted to Arabia and thus turn a deaf ear to the other verses that are in direct contradiction to that allegation.

This out-of-context approach is the same one adopted by those deviant people regarding the verse of fighting, forgetting or overlooking the other verses that highlight the fact that Islam fights transgressors only.

It is more relevant here to cite the word of Imam Mahmoud Shaltout in his detailed research about the verses of fighting in the Qur’an. He concludes with the following premises:

There is no single verse in the Qur’an that indicates that the reason of fighting is to force people to accept Islam.

The reason of fighting – as indicated by the aforementioned verses – is restricted to fighting back against aggression and protecting daʿwa and the freedom of religion.

The second issue is concerned with what is meant by those groups of people. The reference is a to certain Christian Byzantine people who were planning to eradicate Islam. Such planning was a reason for the battle of Tabouk where the Muslims stopped the Byzantine. If it had not been for that, Islam would have been eradicated. So, the verse is talking about the Byzantines who were at the north of Arabia and not general about the Christians and the Jews or any disbelievers so long as they are peaceful.14

The other verse on which opponents of Islam base their allegation is the one that reads, "O you who have believed, fight the ones of the steadfast disbelievers who border on you and let them find in you harshness; and know that Allah is with the pious." They take the literal meaning of the verse and claim that Islam commands Muslims to fight peaceful disbelievers and chase them until they become Muslims or get eradicated.

Scholars have clarified that this verse was not revealed to highlight the causes and drives of fight, but rather it was revealed in the context of the organization of jihad and its priorities. Sometimes the enemies were many. In this case the nearest one should be dealt with first before the far one. This verse is tackling this issue. It commands Muslims to give the nearer enemy the priority of attention over the farther ones.

14. At-Tabari mentions in his Tafseer (1/407) that Mujahid explained the verse (Qur'an, 9: 29) and said that it was revealed when the Prophet (PBUH) and his Companions were at the Tabouk battle. This was also narrated by Ibn Abi Hatim in his Tafseer (6/1778) and Al-Bayhaqi in his As-Sunan Alkubra (18675)

www.alimamaltayeb.com

Jews say, ‘Ezra is the son of Allah,’ while the Christians say, ‘The Messiah is the son of Allah.’ Such are their baseless assertions, only parroting the words of earlier disbelievers. May Allah condemn them! How can they be deluded (from the truth)?” (Qur’an, 9:29, 30)

We must pay attention here to two issues:

The firs one is that the command of fighting those groups of people here is not because of their disbelief on Allah and the Last day and the other attributes mentioned in the verse because it would have been in direct contradiction to the other verse that reads, “Whoever wills let them believe, and whoever wills let them disbelieve.” (Qur’an, 18:29) It would further contradict all the verses that declare the freedom of belief that are commonly scattered throughout the Qur’an in more than one hundred places. This is absurdity that does not fit the Qur’an whose verses are well perfected and fully explained and whose source is the One Who is All-Wise, All-Aware.

Therefore, the attributes describing the Ahlul-kitāb is not the cause of the command of fighting, but rather the attributes that were mentioned to better identify those group of people. The proof that supports that is the command to stop war against them when they pay their due tax, rather than when they embrace Islam. If the command was to fight them because of their disbelief, then the fight against them would not stop even when they paid the tax till they accepted Islam. But this is not what the context of the verse indicates. That would ironically make the beginning and the end of the verse in direct contradiction.

The second verse urges the Muslims to fight the polytheists in order to put an end to their oppression against Muslims. This is clearly indicated by the part of verse that reads, "Perhaps Allah will curb the disbelievers' might". (Qur'an, 4:84)

The third verse is crystal-clear evidence that war in Islam is associated with transgression and the latter is the cause of the former. If the disbelievers seek peace and do not attack the Muslims, then Allah does not allow the Muslim to fight them.

However, if they do not keep their peaceful relation with Muslims and go back to harming them, then there is no alternative for fighting back and using force will be legitimate in this case. This is what the fourth verse clearly states.

In general, these verses are not different from the verses of Surat Al-Baqarah in the sense that war is Islam is defensive, not offensive.

There are still two verses in Surat At-Tawbah that the opponents of Islam use to propagate the Idea that Islam was spread by the sword and that the Muslims are commanded to fight the Ahl ul-kitab (the people of the scriptures, like the Jaws and Christians) even when they do not fight Muslims in the first place.

The first verse reads, "Fight those who do not believe in Allah and the Last Day, nor comply with what Allah and His Messenger have forbidden, or embrace the religion of truth from among those who were given the Scripture, until they pay the tax, willingly submitting, fully humbled. The

Among these verses is the verse in surat An-Nisāʾ (Chapter 4) that reads, “Why do not you fight in the cause of Allah and for oppressed men, women, and children who cry out, “Our Lord! Deliver us from this land of oppressors! Appoint for us a savior; appoint for us a helper—all by Your grace?” (Qur’an, 4:75)

Here are a few other verses in point:

“So fight in the cause of Allah (O Prophet). You are accountable for none but yourself. And motivate the believers (to fight), so that Allah might curb the disbelievers’ might. Allah is far superior in might and in punishment.” (Qur’an, 4: 84)

“So if they refrain from fighting you and offer you peace, then Allah does not permit you to harm them.” (Qur’an, 4:90)

“If they do not keep away, offer you peace, or refrain from attacking you, then seize them and kill them wherever you find them. We have given you full permission over such people.” (Qur’an, 4:91)

A fair person would not doubt that these verses are in line with the verses of surat Al-Baqarah and that they have clear evidence that Muslims do not resort to war unless they were forced to do so as an act of defense, not attack.

The first verse talks about defending weak Muslims to free them from the grip of disbelievers. Those weak people are those who embraced Islam in Makkah and were confined by the polytheists who prevented them from migrating to Medina. “They stayed with them and were subjected to humiliation and severe oppression.”13

13. Al-Kasshāf in the explanation of At-Taybi

More surprisingly, if you asked what and where “the verse of sword” is, you would get contradicting responses because there is no agreement on it. I’m surprised how muhkam (of well-established authenticity and clear meaning) verses can be abrogated by a verse that is hard to be located. Is it possible that an unidentified verse could abrogate an unambiguous verse with clear meaning and indications? However, the abrogation issue (naskh) is controversial in terms of its definition and objective.

We must note that these five verses of Surat Al-Baqarah (Chapter 2) are the major Qur’anic verses about the constitution of fighting that are considered the main reference to other verses on fighting that are varied according to the occasions of their revelation. A researcher who is considering the other verses that urge the Muslims to act upon jihad would discover that they are governed by the regulations included in the verses of Surat Al-Baqarah. These regulations command Muslims that fight is for the sake of Allah practiced only against those who start fighting them, the transgressors12 whether at the beginning of or during the war. Thus, the Muslims should rush to peace if sought by the enemy; other noble human principles are included in these verses concerning how to treat enemies during peace and war.

12. What confirms the general meaning of these verses and that it was revealed to highlight the fact that a war should be an act of defense, not offence, is that a number of the Muslim scholars of tafseer (exegesis) interpret the transgression mentioned in the verse to be fighting only those who start fighting.

www.alimamaltayeb.com

Therefore, the following verses are recurrent texts stating conclusively that the war in Islam is defensive, not offensive, in terms of calling to Allah or in international relations between the Muslims and others.

Despite the clarity of Qur'anic denotations affirming that the recurrent order of fighting in these verses is restricted to the enemies of the Muslims who declare war against Islam, opponents of the Qur'an deliberately distort and swerve these clear and evident verses. They take the second verse "and kill them wherever you catch them, and drive them out from where they have driven you out" (Qur'an, 2: 191) out of its context and separate the pronoun from its reference. By doing so, the verse turns into an explicit and exclusive order for Muslims to kill non-Muslims wherever they find them.

We are not surprised by the allegations of the opponents of the Qur'an. Their approach is based on such allegations. By contrast, what is astonishing to us is the insistence of some Muslims, including previous and current traditional scholars, who adopt the same approach of the opponents of the Qur'an. Those people deny that the collective meaning of the verses refers to the fact that the purpose of fighting is defensive not offensive. In addition, they reject these verses with their explicit references. They falsely claim that the rules and recitation of such verses are abrogated by "the sword" verse although such word is not mentioned in the Qur'an at all.

fight in Islam is one that aims, among others, to confront injustice and defend the rights of homeland, citizenship, belief and religious practices.

Additionally, we can refer to the verses that ordered Muslims to fight: “And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah does not love the transgressors. And kill them wherever you catch them, and drive them out from where they have driven you out; and temptation is more serious (than killing; and do not fight with them at the Inviolable Mosque until they fight with you therein; so in case they fight with you, then kill them; such is the recompense of the disbelievers. Yet, in case they refrain, then surely Allah is Ever-Forgiving, Ever-Merciful. And fight them until there is no temptation and the religion is for Allah. Yet in case they refrain, then there shall be no hostility except against the unjust. The Inviolable month is for the Inviolable month (in which no warfare is permitted) and the Inviolable things demand retaliation. So whoever transgresses against you, then transgresses against him in like manner as he has transgressed against you; and be pious to Allah, and know that Allah is with the pious.” (Qur’an, 2: 190-194)

I would like to shed light on the fact that all pronouns mentioned with regard to fighting order in these verses, e.g. “fight them, kill them”, refer back to the phrase “those who fight you” mentioned in the beginning of the first verse and are related to it. Hence, these verses would be wrongly understood if we considered them out of their context. The right meaning of these verses is that Muslims should fight those who fight them. However, Muslims are prohibited to fight at the Inviolable Mosque until they are fought therein.

The greatest evidence that the Prophet and the Muslims established peace with non-Muslims who are at peace with them is that he did not engage in combat with the close country of the Christian Abyssinia. He said, “Leave the Abyssinians alone as long as they leave you alone”. Had the purpose of fighting in Islam been to coerce non-Muslims to embrace Islam, the Abyssinia would have been the first country to be conquered by the Muslims in order to compel the Abyssinians to embrace Islam. On the contrary, the Prophet (PBUH) with the Muslims on the one hand, and the Abyssinians on the other both had distinctive relationships recorded on pages of history overflown with love and tolerance.

One never gets bored of repeating the hadith of the Prophet (PBUH) mentioned in his letter to the people of Yemen stating the following fact: “Any Jew or Christian, who does not accept Islam, should not be compelled to embrace it”. This hadith is sufficient evidence to revoke all the claims of those who are biased against Islam as well as the allegations of some Muslims who distort their religion with erroneous interpretations. Additionally, those Muslims insist that the reason behind fighting in Islam is disbelief not aggression and that Muslims fight and oppress the disbelievers everywhere to force them to embrace Islam or pay tax.

Quranic Evidence

The first verse that gives the Muslims permission to fight, after prohibition throughout the Meccan period, is Allah’s saying, “The ones who are forced to fight are permitted to defend themselves for that they are unjustly attacked; and surely Allah is Ever-Determiner over giving them victory”. (Qur’an, 22: 39). This verse clearly states that a legitimate

Historical Evidence

The wars of the Prophet (PBUH) were against the disbelieving aggressors of Quraish along with those who plotted conspiracies with them. All of these wars occurred on the outskirts of Medina or nearby borders. This is clear evidence that Medina was in the case of self-defense, rather than attack.

Such a case applies to the battles of Badr, Mount of Uhud, and the Trench that was dug around Medina.

Despite the history of harming and abusing the Prophet (PBUH) and his Companions, the Conquest of Mecca was not war declared against the disbelievers of Quraish. After he had entered Mecca without fighting or blood shedding, the Prophet (PBUH) asked the disbelievers: “What do you think I am doing with you?” “Good; you are a kind brother and the son of a kind brother,” they replied. “You are free to go,” he said to them.

He was able to exterminate them all with just a hand signal to his Companions to do so; however, he forgave them. He looked for peace even with his enemy. By doing so, he abided the teachings of the Holy Qur’an stated in Allah’s sayings, “And if they incline to peace, then incline to it too and rely upon Allah. Indeed, it is He who is the Hearing, the Knowing”. (Qur’an, 8: 61) “So, as long as they be fair with you, so be fair with them; surely Allah loves the pious ones.” (Qur’an, 9: 7) “So if they keep themselves away from, abstain from fighting you and offer you peace, then Allah has not made for you a cause [for fighting] against them” (Qur’an, 4: 90)

The majority of Muslim scholars have agreed upon such fact. They have repeatedly mentioned in the jurisprudence books the famous statement “Aggression, not disbelief, is the cause of fighting”. In this regard, the scholars have provided rationale, historical, and textual evidences from the Qur’an and Sunnah:

1- Rationale

The scholars have agreed upon the prohibition of killing the decrepit old men, the children and women. This prohibition is based on the prophetic hadith “Do not kill a decrepit old man, a child, or a woman.” Such rationale begins with a conditional case that is, had the cause of fighting in Islam been disbelief, the prohibition of killing categories mentioned in the hadith would have been meaningless; on the contrary, Muslims would have been ordered to kill any person of such categories just like they kill disbelievers. However, the prohibition of killing such categories is conclusive evidence that the reason behind prohibition is not disbelief, but aggression; and how distant the two cases are. Those above-mentioned weak people cannot be described as aggressors because they are not strong enough to carry arms or cause harm to others; therefore, there is no good reason to fight them. Moreover, they should be treated as peaceful disbelievers. Consequently, the Prophet (PBUH) has prohibited killing those people as the condition of aggression does not apply to them. This is a clear proof that the reason behind fighting is aggression not disbelief as it is commonly claimed.

Here is a central question: What is that that legitimizes Muslims' fighting with others? Is it animosity? Is it disbelief in Islam and refraining from embracing it? The majority of Muslim scholars have asserted that the unbelieving nation's aggression against the Muslim nation is the main reason for a legitimate fighting. Disbelief alone, without aggression, is not a legitimate reason to war. As indicated above, the Glorious Qur'an has acknowledged the freedom of people to believe or disbelieve, and therefore it is impossible to approve fighting to coerce disbelievers into Islam; otherwise the Qur'an would have been contradictory. If the Qur'an denies what it has already asserted before, it like someone who has enacted a law that ensures the freedom of creed, but in the same time enacts another that denies such freedom and imposes a certain doctrine on people using war as a tool to do that. This is absolutely untrue The Wise Book never acts in this manner. Even though the enemies of the Qur'an have looked seriously for any defects through their assiduous research, they have failed to record any such contradiction.

Muslims are not allowed to fight disbelievers, followers of any other heavenly or man-made religion or even atheists so long as they are at peace with the Muslims, with no intention to wage a war of aggression against them, to wait for their misfortune or have any alliance with their enemies. In the former case, it is impermissible for the Muslims to fight them in any way. Muslims incline to peace, justice and benevolence with those who incline to these. The Qur'an clearly states that, "Allah does not forbid you from those who do not fight you because of your religion and do not expel you from your homes - from being righteous toward them and acting justly toward them. Indeed, Allah loves those who act justly." (Qur'an, 60: 8)

The first part of this verse states, ‘’To those against whom war is made, permission is given (to fight)’’ (Qur’an, 22: 39). This shows clearly that it is permissible to fight against the transgressors who have already declared war against Muslims. This kind of fighting is permissible in order to defend people, rather than to attack non-Muslims. Furthermore, the use of passive voice is indicative of that. In addition, the meaning of the verse is that the believers - who were wronged, evicted from their homes, fought against or killed- have been given the permission to defend themselves, their wealth and their dignity after prevention of war for more than thirteen years.

The conclusion of determining the motivation for war in Islam is that the religion of Islam is based on recognition of the multiplication of cultures and civilizations and the relationship among them. The principle of freedom of creed and worship never admits invalidity or confiscations of such things that people are familiar with in their consciousness or presence. It can never make any fighting or war legitimate except a just war that protects the rights of peoples and deters aggressors.

The Reason for Fighting Infidels

The previous paragraph shows that the first verse to give the Muslims permission to fight states that the reason behind fighting is to defend and confront aggression. The Glorious Qur’an mentions some of the purely human motives of the war as follows: resolving injustices, defending those compulsorily evicted from their lands leaving behind their wealth and progeny, protecting the heavenly religions and enabling their followers to practice their worship and rituals safely from the domination of idolatry and polytheism.

The Concept of Jihad in Islam

The combination of the three heavenly religions in the above-mentioned verse has drawn the attention of the interpreters and surprised them. Furthermore, interpreters have asked why the Islamic Jihad adopts the responsibility of defending monasteries, churches, synagogues and mosques.9 In different wording, their response is that these are the most all-inclusive places uniting the believers.

Imam Arrāzi denies that the purpose of defending them might just be protecting them from destruction in the eras of Moses and Jesus (peace be upon them), but rather in the Prophet's days. According to him ''these places are where the name of Allah is much mentioned. Moreover, that is not any comparable to the worship of idols''.10

The Qur'anic verse, permitting fighting in defence of places of worship, does not only take mosques into consideration but also the others' places of worship.11

9. Sahih al-Bukhari: 2/69 Fighting for the Cause of Allah, the book of Jihad: War would be waged for the people of Dhimmah (followers of Divine Messages) on any enemy of theirs in addition to their right not to be held in slavery. In (3052) Umar (after he was stabbed) instructed (his would-be-successor) saying, 'I urge him (i.e. the new Caliph) to take care of those non-Muslims who are under the protection of Allah and His Prophet (PBUH) in that he should observe the convention agreed upon with them, and fight on their behalf (to secure their safety) and he should not over-tax them beyond their capability."
Reported directly from al-Bazzar, on the authority of A'ishah (RAA), saying, ''The Prophet (PBUH) fought only on behalf of the people of Dhimmah but not for the polytheists''.

10. At-Tafsir al-Kabeer by Ar-Razi
11. Al-Jihad Tareequ Nasr by Abdullah Ghosheh included in the proceedings of The Fourth Conference of the Islamic Research Academy, Al-Azhar.

www.alimamaltayeb.com

the aggression of the idolaters and polytheists.

What calls for wonder in this Qur'anic verse- regardless of school or religion- is that permissibility of war is not confined to defending mosques only; rather it includes defending and protecting other heavenly religions against the tyranny of idolaters and polytheists.

How wonderful is it that a religion calls its followers for fighting to secure the people of other divine religions and their places of worship.

Consider what is narrated by Ad-Dahhak on the authority of Ibn Abbas (may Allah be pleased with him) that while he was interpreting this verse: "Muslims are entitled to defend ahlu ḏimmah 8 (Non-Muslim citizens in a Muslim state).Then, tell me about a religion that calls for defending and ensuring the people of other religions to practice their actions of worship like the religion of Islam!

8. - At-Tafsir Al-Kabir by Ar-Razi: 12/41, Allbab fy 'uloum Al-ketab by Ibn 'Adel Al-Hanbaly 14/105, and Nisaburi:5/83.

This total response needs more elaborate details.

The war is permitted in Islam only for repelling the aggression, rather than for attacking. The first verse that was revealed to allow the Muslims to get involved in war was the saying of Allah, Almighty "To those against whom war is made, permission is given (to fight), because they are wronged; and verily Allah is most powerful for their aid. [They are] those who have been evicted from their homes without right, only because they say, 'Our Lord is Allah'. And were it not that Allah checks the people, some by means of others, there would have been demolished monasteries, churches, synagogues, and mosques in which the name of Allah is much mentioned. Allah will surely support those who support Him. Indeed, Allah is Powerful and Exalted in Might." (Qur'an, 22:39-40)

This verse permitted Jihad after it had been prohibited in more than seventy verses. The companions of the Prophet (PBUH) were either beaten or injured all over the Meccan era. He would say to them, "Be patient, for I have not been commanded to fight yet". It was only after he had emigrated that Allah revealed this verse.7

Particularly, in the light of this verse, the early permission that allowed the Muslims to get involved in war was justifiable by staggering injustice and in defense of the oppressed people. It was meant to enable them to lead a secure life like the others; that is a legitimate and undeniable right.

It is also obvious that this divine text was not meant to defending Islam only, but all the heavenly religions against

7. -See : 'Abdu--Razzaq as-San'ani Tafsir:2/34, Jāmiʿ ul-bayān by ibn Jarīr al-Ṭabarī:18/642, Abi Muzffar As-Sam'ani: 3/416, Al-Kashshaaf by Al-Zamakhshari: 3/161, At-Tafsir Al-Kabir by Al-Razi 12/40, Tafsir Ibn Kathir:5/433.

coerce people to embrace it, nor does impose its Shari'ah on the others. Yet the Shari'ah matches with what people recognize as logical norms in terms of laws and cultures.

In a nutshell, the Holy Qur'an defines the relationship between people in terms of a relationship of "acquaintance" that is considered a logical consequence of various discrepancies and the freedom of belief.

The permissibility of war in Islam

Based on what is previously stated in the previous paragraph that "acquaintance" is a divine objective for which Allah has made humankind into peoples and tribes, the question that we often hear is so long as that is the case, then why has Islam fought Non-Muslims? Why does the Holy Qur'an admit the principle of fighting as permissible? Why is it commanded in many verses, approved by the Prophet (PBUH) in many of the Hadiths showing virtues of Jihad and promoting it? Is the fact that Allah has made humankind into peoples and tribes consistent with the call for wars and fighting?!

The initial answer that requires careful consideration in all the verses related to this matter is that war or fighting in Islam is resorted to only as an exception, or in the case of imperative necessity when there is no other way out, when the war itself is a procedure to protect the principle of "acquaintance", its consolidation and the establishment of peace.

"A man from Al-Anşār (the supporters of the Prophet), who was among the companions of the Prophet, had two Christian sons. When he insisted that they should become Muslims, the Messenger of Mercy asked him not to do so.

It is also narrated that an old Christian woman came to the Caliph Omar (may Allah be pleased with him) asking for help. She refused to become a Muslim after the Caliph had invited her to Islam. The Caliph was afraid that he had practiced an act of coercing and supplicated: "Oh Allah, I did not meant to force her."

The Holy Qur'an considers forced conversion as fitnah (oppression) which is "worse than killing" as it is an assault on the mind, soul, and freedom of belief, which is Allah's pure intention upon which He has created people.

Oppression of the mind and soul is more severe than physical assault, as the feeling of changing one's religion under duress can be harder and more bitter than physical assault. A wise man was asked, "What is harder than death?" He replied, "the case when a man wishes to die".

Such a social system is based on text-evidence derived from Holy divine books, which affirm differences among people and the necessity of acquaintance, and assure their right to choose their religion freely. It cannot, however, force all people to follow the same attitude, behavior or way of thinking; yet it allows no room to take war as the only solution of conflicts among members of such communities. Thus, acquaintance, rather than hostility, is Allah's law that has to be enacted for all human beings regardless of their place, race, belief, and culture.

It is obvious through the texts of the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet (PBUH) that Islam does not acknowledge the principle of war in calling people to embrace it; it rather entirely excludes this. Islam does not

"Whoever wills, let him believe; and whoever wills, let him disbelieve." (Qur'an, 18: 29)

In addition, the Qur'an clearly states in many verses that the Prophet of Islam, Muhammad (peace be upon Him), is only a Messenger of Allah and his role was simply to deliver and convey the divine Message. Allah says,

"So, [O Prophet] exhort them; your task is only to exhort; you are not over them a controller." (Qur'an, 88: 21-22)

"If your Lord so willed, all men and women on earth would have believed. Would you compel people to believe?" (Qur'an, 10: 99)

"You are not over them a tyrant. But remind by the Qur'an whoever fears my threat." (Qur'an, 50: 45)

"(O Prophet), if they turn away from the Truth, know that we did not send you to them as their overseer; your task is only to convey (the Message)." (Qur'an, 42: 45)

Therefore, there is no need in Islam to follow a practice coercing people to accept any specific religion, even Islam itself, whether physically or morally. Furthermore, there is no room in Islamic philosophy to exploit people's needs to adopt Islam.

Since forced conversion increases the numbers of hypocrites, not the number of true believers, Islam never seeks pretended beliefs in exchange for money or services, or forces one under the duress of sword.

The Holy Qur'an considers beliefs as an act of the heart which cannot be compelled to any particular religion. In addition, it is totally an unachievable aim to force hearts to change their religions or beliefs.

Inevitability that people shall know each other

Whereas the difference between people is the divine law, according to which Allah created people, it is impossible for people, according to this divine law, to agree upon one thing. Accordingly, there is nothing to be applied in this relation among them except “knowing each other”, which means cooperation and meeting, not rejection or fighting. This is established by the following verse: “O mankind, indeed We have created you from male and female and made you peoples and tribes that you may know one another. Indeed, the most noble of you in the sight of Allah is the most righteous of you. Indeed, Allah is Knowing and Acquainted.” [Qur’an, 49: 13]. Knowing each other is the law of the human society, and righteousness –making good deeds – is the sole standard for nobility among them. The verse is very clear in confirming the above-mentioned fact that the relation between nations, according to Islam, is one of “mutual knowing“, cooperation, integrity, and mutual interests. These matters cannot be achieved except in an atmosphere of peace, tolerance and conciliation, rather than fighting, struggle or superiority.

Freedom of Belief

The Holy Qur’an refers to the third principle, namely the freedom of belief as religion is a person’s own concern and none can be forced to embrace a specific religion whether a man-made or a divine belief. Allah says,

“There shall be no compulsion in religion. The right course has become clearly distinct from the wrong one.” (Qur’an, 2: 256)

“And of His signs is the creation of the heavens and the earth and the differences of your tongues and colors. Surely in that are indeed signs for knowledgeable men.” (Qur’an, 3: 22)

The meanings of theses verses, as well as other verses which cannot be comprehensively mentioned in this speech, affirm the differences among people regarding religions, ethics and languages. These differences cannot be neglected or forgotten. All those who try to reach an agreement and consensus among all people upon one belief or consensus on one matter are doomed to failure and have no effect in the history. Listen to the Holy Qur’an when it blames the Prophet (p.b.u.h) for his wish to make all people embrace the religion of Allah. The Holy Qur’an clarifies that it is impossible to achieve this wish, because it absolutely contradicts with the will of Allah regarding the difference among all people. In a form like a blame and disapproval, Allah says,

”Would you then compel people to be believers?” (Qur’an, 10: 99)

“And if Allah had so decided, He would indeed have gathered them to the guidance. So do not ever be one of the ignorant.” (Qur’an, 6: 35)

Therefore, people are different, according to the logic of the Qur’an, although they belong to one origin, i.e. one mother and one father. Furthermore, we say that variation is the willing and applicable judgment of Allah in humankind, animals, plants, inanimate bodies, universe and the nature. ”Have you not seen that Allah sends water down from the heaven. So, We bring out therewith products of different colors? And among the mountains are streaks white and red, of different colors, and black crags.” (Qur’an, 35: 27)

Inevitability of variance among people

Logic of the Holy Qur'an regarding local and international social peace is based principally on a fundamental truth affirmed by history and facts that exist in each age and place. Such a fundamental truth is based on the fact that it is impossible for all people to relate to one certain religion, belief, language, sex, or color. Such a fundamental truth is established by the Holy Qur'an, when Allah said: "And if your Lord had (so) decided, He would indeed have made humankind one nation; but they do not cease differing (among themselves]. 11: 118]. The meaning of this verse in summary is that the will of Allah is that He created all people with variance concerning all the above-mentioned matters. Such differences will remain unchangeable among them so long as the heavens and the earth exist. The same meaning is affirmed by many other verses, including Allah's saying:

"If Allah had so willed, He would indeed have gathered them to the guidance. So, do not be one of the ignorant." (Qur'an, 6: 35)

"If your Lord had so willed, whoever in the earth would indeed have believed, all of them, altogether. Would you then compel humankind to be believers?" (Qur'an, 10: 99)

"If Allah had so decided, indeed He would have made you one nation." (Qur'an, 5: 48)

"If Allah decided, He would indeed have guided humankind altogether." (Qur'an, 13: 31).

"He is The One Who created you; then some of you are disbelieving and some are believing; and Allah is Ever-Beholding of whatever you do." (Qur'an, 64: 2)

"To every one of you We have made a legislation and a method." (Qur'an, 5: 48)

www.alimamaltayeb.com

Purpose of Jihad in Islam

Before concluding this section, I want to draw your kind attention to the fact that Jihad in Islam is subjected to a condition related to a principal purpose which is not found in any of other legalizations related to wars whether in the old or the modern times. This condition is that Jihad must be "in the way of Allah", which is concluded from the fact that the Holy Qur'an describes striving with wealth and life as Jihad "on the way of Allah" in the most of verses which include this word. Accordingly, we conclude that Jihad in Islam is solely related to a principal purpose not included in other purposes of wars which cause catastrophic havoc, These include the desire to expand, occupation for the purpose of acquisition of territories, controlling other's destiny, demonstration of force, trading in weapons, becoming stronger at the expense of weak people, and other contemptible purposes, which remain the motivation for wars in our age. Such purposes are shameful with regard to history and human conscience.

Human relations in Islam

After summarizing Jihad, and defining its concept and meaning, we will move to another subject related to Jihad. This is the relation between Muslims and others. Is such relation a relation of conflict aiming at military confrontation, or a relation of knowledge, cooperation and mutual benefit sharing?

The one who contemplates the Holy Qur'an does not need hard works to conclude that the human relations in Islam are based on three facts established by the Holy Qur'an in clear and unambiguous manner. These three facts are inevitability of variance among people, inevitability that people shall know each other, and freedom of belief.

These are not just pieces of advice or recommendations whose application is up to a Muslim's choice, but rather an obligation by Shariʿa on the part of the Muslims to fight the real enemy of both the individuals and communities.

From the above-mentioned we can draw two conclusions:

First, Islam is a religion that urges Muslims to make Jihad (strive) to acquire knowledge and preserve one's health, cleanness and strength. Islam declares war against ignorance, diseases and weakness. Islam considers all this a kind of Jihad for the sake of Allah.

Second, it is not true what some Western thinkers claim that the meaning of Jihad in Islam is restricted to fighting people by sword to force them to accept Islam. This is pure fabrication that contradicts reality and history. Some of them claim that with bad intentions and for hidden purposes. Others have good intention but are misinformed due to lack of enough knowledge of the variant contexts of the word Jihad and failing to rack its uses and content with the jurist context alone. This caused them to end up with misunderstanding and to stop midway through the understanding process.

Before talking about Jihad, it should be noted that if the word means "fighting enemies," then this is just the general meaning of term. While Jihad can be done using weapons, it also can be done using money, the Qur'an, sound argument and reason. Similarly, the enemy can be a warrior person, and can also be one's own ego, Satan or other enemies as mentioned before. In a nutshell, the word Jihad is a general term that applies to several meanings and the word enemy o numerous enemies as well.

To reiterate, Jihad in Islam is not restricted to fighting human enemies but includes also any abstract or concrete enemy.

One can say the same about Islam's fight against diseases and its causes like impurity and filth. In this context, it is enough for us to hear the hadith of the Prophet that states that purity and cleanness make up half of the faith.3 There is also the Shariʿa maxim that reads, "Health of the body is to be given priority over health of the religion." Moreover, Shariʿa prohibits foods and drinks that are impure and harmful to one's health. There is also the Shariʿa maxim that reads, "preserving one's body and reason is one of the most important objectives of Shariʿa ". Consider also that Islam makes it obligatory for Muslims to wash, clean and apply perfume to their dead persons although they are dead and will soon be buried.

We cannot mention here all the Qur'anic verses and Prophetic Hadiths that encourage Muslims and urge them to clean their bodies, clothes and places.

The same can be said about Islam's fight against weakness and laziness and warning against its consequences that affect the community. There is a Prophetic hadith that reads, "A strong believer is better and is more lovable to Allah than a weak believer."4 The Prophet – peace and blessings be upon him – used to seek refuge with Allah from helplessness and laziness. He used to say, "O Allah! I seek refuge with You from helplessness and laziness."5 He also used to encourage Muslims to be active and motivated and to seek help from Allah. He said, "Seek help from Allah and do not lose hearts."6 This hadith is in line with the Qur'anic verse that reads, "Once you make a decision, put your trust in Allah." (Qur'an, 3:159)

3. Sahih Muslim (No. 223), narrated by Abu Malik AL-Ash'ari
4. Sahih Muslim (No. 2664), narrated by Abu Huraira
5. Sahih Al-Bukhari (No.2823) and Sahih Muslim (No. 2706), narrated by Anas ibn Malik
6. Sahih Muslim (No. 2664), narrated by Abu Huraira

www.alimamaltayeb.com

A wider definition of Jihad:

Jihad that is individually obligatory is fighting against many enemies. Besides one's ego and Satan as aforementioned, there is also fighting against the enemies of the society who are working to cause troubles that negatively affect it like diseases, ignorance, poverty, weakness and backwardness.

Fighting those is not less important than fighting the armed enemies on a battle front, and the responsibility of combating issues like poverty and disease is a joint responsibility between the people and rulers; they both share it in proportion to everyone's position in the ruling institution and their respective roles in community management.

It is well known that Islam is unique in its message that combats ignorance, blind imitation, myths, and calls people to science, knowledge and certainty. The word ʿilm (knowledge) and its derivatives are mentioned dozens of times in the Qur'an. An example is the verse that reads, "Allah (Himself) is a Witness that there is no god (worthy of worship) except Him—and so are the angels and the people of knowledge. He is the Maintainer of justice." (Qur'an, 3:18); "Allah will elevate those of you who are faithful, and (raise) those gifted with knowledge in rank." (Qur'an, 58:11); "Say, (O Prophet,) 'Are those who know equal to those who do not know?'" (Qur'an, 39:9). This reiteration and affirmation regarding knowledge constitutes a unique campaign against ignorance and doubt that has no equal in any other divine scripture.

Jihad) is the one who strives to obey Allah, and the true muhājir (immigrant) is the one who deserts sins and bad deeds."2 There is also another hadith that reads, "The best kind of Jihad is the one through which you fight against your own egoistic desire and an inclination for the sake of Allah -glory be to him."

Islam's position on Jihad

This difference between the two meanings of Jihad becomes clearer when it comes to the comparison between the Sharia position on Jihad that means fighting enemies at wars and Jihad that means fighting one's own egoistic desires. For the former, it is not an individual obligation on the part of every Muslim, but rather a collective obligation, meaning that if enough number of Muslims do it, it is no longer obligatory on the part of the rest of Muslims. While the latter is obligatory on the part of every Muslim in all situations because the enemy in this case is a permanent one, i. e. Satan and one's ego, that stays with him all the time, and stands as a barrier between one and doing good deeds and makes evil deeds appealing. The only weapon a Muslim has in this battle is the continuous fighting and striving as much as one can.

Since no one can make Jihad against one's ego or against Satan on behalf of somebody else, that's why it is required from every Muslim, unlike the armed Jihad against enemies where Jihad is required only from some, and not all, the Muslims while the remaining Muslims are exempted of its consequences and sacrifices if the number of those making Jihad is enough.

2. Abu Naʿīm Al-Asbahani (d. 430 AH), Hilyatu l-ˀAwliyāˀ (Egypt: Matba'at Al-Sa'ada, 1394 AH/ 1974 AD), See also: Abdullah Ghushah (d. 1397 AH/1997 AD), Al-Jihadu Tareequ n-Nasr In: Kitab ul-Mu'tamar Al-Rabi' li Majmma' Al-Buhūth Al-ˀIslamiyyah (Cairo: Al-Azhar, 1388 AH/1968 AD), P. 183.

The word harb, that means war, is mentioned three times only in the Qur'an, while the word Jihad is mentioned thirty-two times.

It is noted from the Qur'anic context that the word Jihad does not always denote armed and military activities but rather has other different meanings as well. When the word Jihad is mentioned, the intended meaning could be the armed military Jihad or striving against one's ego that is ever inclined to evil, and to clearing it of this evil. It can also refer to fighting against Satan and nafs (one's egoistic desire).

While Jihad means, in the Qur'an, sacrificing one's life through dying for the sake of Allah, it also means spending one's money and using a good argument when inviting people to Allah. Jihad could also be done by using the Qur'an itself, meaning using its verses, signs, wisdom, tangible and logical proofs. Allah says: "So do not yield to the disbelievers, but strive diligently against them with this (Quran)." (Qur'an, 25: 52). The verse means "fight them using the Qur'an which is mentioned in the preceding verse"1

Jihad against one's own egoistic desires ranks first in Islam before fighting enemies at the battle field. This makes sense, because when a Muslim fails to fight his own desire, he necessarily fails to fight his enemies at the battle field. That's why it is no surprise that fighting one's egoistic desires ranks higher and is more important than fighting an external enemy.

In line with this, we mention the hadith of the Prophet -peace be upon him- that reads, "the true mujāhid (the agent form of

1. The preceding verse reads, "We certainly disperse it among them so they may be mindful, but most people persist in ungratefulness."

www.alimamaltayeb.com

Mashykhat Al-Azhar
Al-Azhar's Senior Scholars Council
Fundamentals of Jurisprudence Book Series
No.: (7)



The Conception of Jihad in Islam

By
Ahmed At-Tayyib
The Grand Imam of Al-Azhar
President of Muslim Council of Elders



www.alimamaltayeb.com

The Conception
of
Jihad in Islam

www.alimamaltayeb.com